

ديــوان الثقــافتين العربيــة و الأرمنيــة

عدد رقم ٩١ | السـنة الثالثة عشر | يناير ٢٠٢٣

FIRST TREE ART PRODUCTION
PRESENTS

A FILM BY
ESSAM NAGY

THE FORGOTTEN HOMELAND
ՄՈՌԱՑՎԱԾ ՀԱՅՐԵՆԻՔ

THE DANGER IS CLOSER TO ARMENIA,
WHAT IF SYUNIK IS LOST?



EDITOR
MICHEAL YOUSEF

EXECUTIVE COORDINATOR
ARMEN MAZLOUMIAN

MUSIC
ARA DABANDJIAN

COLORIST PETER SAMIR AUDIO DESIGN MOUSTAFA SHAABAN
TRAILER MARKOS ERIAN GARPHICS MINA EMAD
DIRECTOR OF PHOTOGRAPHY ESSAM NAGY

SUMMER 2022

FIRSTTREE.ART - TSERKER.COM

الوطن المنسـي (آرتسـاخ) فيلم وثـائقى للمخرج المصـري عصـام نـاجى

المحتويات



نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير:
علي ثابت صبري

سكرتير التحرير:
عطا أحمد درغام

العنوان : ٢٦ ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة
تليفون : ٢٢٩١٦٤٤٤ (٠٢)



رابط مجلة أريك الإلكتروني :
https://me-qr.com/l/ArekArabic

رقم الإيداع : ١٨٣٧٤/ ٢٠١٠

إعداد و تصميم:



السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاســــــــم : ....

المــــهـــــنـــة: ....

الــــعـــنـــوان : ....

البريــد الإلكتروني : ....

التليـــــــفـــــون : ....

الافتتاحية



بقلم: على ثابت صبرى

الوطن المنسي: فيلم وثائقي
لـ عصام ناجى عن ناجورنو كاراباخ (آرتساخ)
الإنسانية تنادى البشرية انقذوا أرمن آرتساخ

منذ تجدد الأزمة فى إقليم ناجورنو كاراباخ (آرتساخ) فى ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٠، وتجدد الاشتباكات الأكثر دموية فى تاريخ المشكلة ، بتعدي القوات الأذربيجانية على الإقليم ، وقد أشرتُ على صفحات مجلة آريك الغراء أكثر من مرة عن خطورة الأزمة، وضرورة وقوف الإنسانية لمنع إبادة جديدة للأرمن فى إقليم آرتساخ .

وقد قام المخرج المصرى عصام ناجى بعمل فريد ، سوف يفيد البحث العلمي والإنساني ، حيث قام بتوثيق ما حدث على لسان شهود العيان ، بل أكثر من ذلك ، المشاركين والناجين والنازحين من هذه الحرب الغاشمة . وكُللت مجهودات ناجى بعمل فيلم وثائقي أكثر من رائع تحت عنوان :

(الوطن المنسى The Forgotten Homeland)

و فى ١١ يوليو ٢٠٢٢ ، كان العرض الأول للفيلم في أرمينيا ، وبعد ذلك تم عرضه فى ثلاث مدن بأرمينيا ، ومنها المدينة التى تم تصوير الفيلم فيها جوريس فى جنوب أرمينيا Goris ، أما فى مصر كان العرض الأول خارج أرمينيا ، بقاعة مدرسة كالوسديان – نوباريان الأرمنية بمصر الجديدة فى ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٢.

وعُرض فى أمسية دافئة جمعت عدد من أعضاء الجالية الأرمنية في مصر ، وبحضور كل من المطران أشود مناتسكانيان مطران الأرمن الأرثوذكس بمصر، و كريكور أوغسطينوس كوسا أسقف أبرشية



المخرج المصرى: عصام ناجى

الإسكندرية للأرمن الكاثوليك في مصر، وقنصل سفارة أرمينيا بالقاهرة رفائيل موفسيسيان، ودكتورة مارى ميساك الأستاذ بكلية السياحة والفنادق جامعة حلوان، والدكتور چورج سيمونيان القائم بعمل عميد كلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان، والدكتور أرمين مظلوميان، رئيس الهيئة الوطنية الأرمنية بمصر.

ويكشف الفيلم عن حرب آرتساخ التي استمرت ٤٤ يوماً، والحياة على الحدود بين أرمينيا وأذربيجان،

ولاجئي آرتساخ الذين يعيشون الآن في سيونيك. من خلال مجموعة من القصص الإنسانية . وفي تصريحات خاصة قال المخرج عصام ناجى : إن تصوير الفيلم استغرق ٣ أسابيع ، وهى مدة مكثفة جدًا لتصوير الفيلم ،وتحديدًا فى شهري أبريل ومايو من عام ٢٠٢١ وبعد العدوان بـ ٦ شهور، فالعدوان كان فى ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٠.

وأوضح قائلا : كان يُمكن أن نذهب للتصوير عقب الحرب وخلال أسبوع ، ولكنى فضلت أن يكون ذهابنا بعد ٦ شهور من الحرب بسبب أن مشاعر الناس عقب الحروب تكون مرتبكة غير مدركين لحجم الخسارة أو الصدمة ، عاجزين عن التعبير بدقة عن إحساسهم بالفقد، لذلك كان مقصود أن أسافر بعد الحرب بشهور كافية ، لكي يعبِّر الناس عن مشاعرهم بإدراك ، ففي وقت الأزمة العقل يكون مشلولًا، ويتحدث الناس بشكل عاطفي دون الحديث عن الحقائق بالشكل المطلوب .
مع خسارة ابن أو صديق أو حبيب المشاعر هي التي تتحدث ، وأنا لم أرِد هذا.

كل ما أريده هو أن المشاهد غير الأرمنى يتعاطف ثم يعرف أكثر ويتحرك بعد ذلك.
وعن أقسى المشاهد التي صورها فى الفيلم قال : أصعب المشاهد التي صورتها هى التي كانت مع الجندي هاروت كوتشاريان ، فهو لم يتحدث من قبل عن ما حدث له فى الحرب من وقت عودته من الميدان حتى مع أهل بيته لم يتحدث ، و أول مرة تحدث فيها كانت أمام الكاميرا وتحدث لمدة ٤٥ دقيقة ، والمتابع للفيلم سيرى أن جسده كان يرتجف في كثير من اللحظات، وخاصة عندما كان يحكى عن المرتزقة في الحرب ، فقد انفجر لغم فى رجله وفقدها وفقد الوعي لوقت ، وعندما فاق وحاول أن يتحرك عندما وضع يديه حول رأسه وقدمه وجد خمسة ألغام أسفله فكهم وهو فاقد لرجله ، وتعليقاً على هذا الموقف يقول المخرج عصام ناجى : قصته مؤثرة جدًا فكلنا خلف الكاميرا بكينا.
أما عن علاقة مخرج الفيلم بأرمينيا : قال علاقتي بأرمينيا بدأت منذ أن كان عمري ١٦ عاما عشقتها ،وعرفت عنها من خلال صديق أرمني كان له دور كبير في تعليمي التصوير الفوتوغرافى حتى سافرت عام ٢٠١٧ ، بعد ٢٣ عامًا من حبي الصامت لها، وعلى الرغم من أننى قد قمت بزيارة بلدان عديدة ما يقرب من ٢٧ بلدًا، لكن لم أجد دولة تمتلكني مثلما امتلكتني أرمينيا ، فعندما سافرت لأرمينيا أول مرة وجدت تناغمًا كبيرًا بين الموسيقى والطرز المعمارية وعناصر الهوية الأرمنية من معمار ولغة وموسيقي وتاريخ وثقافة، تناغم شديد الحساسية والتماسك .



أرمينيا وطن فريد، وعندما نبحر داخل تاريخه الصعب والدموي ، وما تعرضت له أرمينيا من أزمات ندرك أن هناك سرًا للبقاء، فهى دولة ملهمة وتختار من يعشقها.

أما عن رمزية أن مخرج مصرى يقوم بتوثيق ما حدث للأرمن في إقليم آرتساخ ، فهو امتداد لما قامت به مصر والمصريين من دراسات وكتابات ووثائق وشهادات على مدار تاريخ أرمينيا الحديث توثق ما حدث للأرمن على يد الأتراك ، والآن أتى دور الأحفاد لتوثيق ما حدث للأرمن على يد الآذريين بمساعدة الأتراك في الإقليم ، هى مصر يا سادة فجر الضمير الإنساني ، وسوف تجرى مجلة أريك حوارًا مفصلًا مع المخرج المصرى عصام ناجى للوقوف على أدق التفاصيل لخروج هذا العمل المهم بهذا الشكل المتميز .

وامتدادًا لموقف مصر، فإن توجيه النداء الإنساني الذى اتخذته مصر تجاه القضايا الإنسانية عامة والأرمنية خاصة . ظلت مصر على مدار تاريخها ملاذاً للمستضعفين والناجين من عذابات وبطش المتجبرين ، ومع هذا لم تشتكِ المحروسة قط من ضيف حل عليها ، وانطلاقاً من هذه القاعدة ، أشار فخامة الرئيس عبدالفتاح السيسي رئيس جمهورية مصر العربية، فى قمة ميونيخ للمناخ فبراير ٢٠١٩ ، إلى قضايا اللاجئين نتيجة للخراب الذي خلَّفه الخريف العربي ، والذى لعبت فيه تركيا دورًا غير نظيف ، إلا أن مصر استقبلت الناجين دون غضاضة ، كما استقبلت الأرمن أثناء تنفيذ تركيا لبرنامج الإبادة الأبشع فى العصر الحديث ، وإلى هذا الحد ، فإن الرئيس السيسي يُعد أول رئيس عربي يُشير للإبادة الأرمنية فى حشد عالمي ، كذلك افتتاح مهرجان القاهرة السينمائي الدولي في دورته الثالثة والثلاثون نوفمبر ٢٠١٤ بفيلم عن (مذابح الدولة العثمانية ضد الأرمن) .

إن هذه الإشارات ليست موقفًا شخصيًا، إنما موقف مصري إنساني نابع من أول دولة فى التاريخ .





كوكبنا يحتاج إلى السلام لإنقاذه!

بقلم: جاكلين جرجس

الأرض هى عاصمة الإنسان لكنها بدأت تكشر عن أنيابها، فيشعر سكانها بتقلبات جوية عنيفة نتيجة ظاهرة الاحتباس الحراري الذي يقلب أحوال الطقس في جميع دول العالم رأسًا على عقب ويؤدي إلى الحرائق الهائلة فى الغابات ؛ مما جعل الأزمة المناخية هى الشغل الشاغل لجميع الحكومات والمؤسسات فى العالم، لذلك أطلقت الأمم المتحدة اليوم العالمى لأمنا الأرض لنحتفل بها فى يوم ٢٢ أبريل من كل عام ، و شعار هذا العام " استثمروا فى كوكبنا ".

و يأتى هذا الاحتفال بالتحديد منذ إعلان السيناتور جايلورد نيلسون تأسيس هذا اليوم لأول مرة فى عام ١٩٧٠؛ لكن كيف وصل بنا الحال إلى الاحتياج الملّح لاستعادة أمنا الأرض ؟ و لنكون أكثر صراحة مع أنفسنا هل نحن أضعناها من بين أيدينا عن عمد و مع سبق الإصرار و الترصد كأنها عدوتنا، و ليست أمنا التى تجلب لنا الخيرات ؟

علينا الأن أن نحاول إصلاح ما اقترفناه من أخطاء فى حق أمنا الأرض قبل فوات الأوان ،علينا أن نحشد قوتنا و العلم الحديث و نصب كامل تركيزنا عليها وعلى التقنيات الخضراء الناشئة، لاستعادة النظم البيئية فى العالم ولإنقاذ الأنواع المهددة بالانقراض والمياه والأراضي ، وآثار الاحتباس الحراري على التغيرات البيئية والاجتماعية الناجمة بشكل مباشر أو غير مباشر



مؤتمر المناخ - COP27 بشرم الشيخ ٢٠٢٢

عن الانبعاثات البشرية نتيجة إصدار غازات دفيئة بشرية المنشأ .

وهناك إجماع علمي على أن تغير المناخ يحدث ، وأن الأنشطة البشرية هي المحرِّك الأساسي، وقد لوحظت بالفعل آثار كثيرة لتغير المناخ، بما في ذلك تراجع الأنهار الجليدية والتغيرات في توقيت الأحداث الموسمية مثلاً: (ازدهار النباتات سابقاً)، والتغيرات في الإنتاجية الزراعية. وستختلف الآثار المستقبلية لتغير المناخ تبعا لسياسات تغير المناخ والتنمية الاجتماعية، وتهدف السياسات الرئيسية لمعالجة تغير المناخ إلى الحد من انبعاثات الغازات الدفيئة البشرية (التخفيف من آثار تغير المناخ)، والتكيف مع آثار تغير المناخ الهندسة الجيولوجية هي خيار آخر للسياسة.

فيما نجد أن المستوى المستقبلي للاحترار العالمي غير مؤكد، ولكن تم وضع مجموعة واسعة من التوقعات، وقد استُخدمت سيناريوهات الانبعاثات التي وضعها الفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ في كثير من الأحيان؛ لتقديم توقعات تغير المناخ في المستقبل سيناريوهات التقرير الخاص عن سيناريوهات الانبعاثات هي **سيناريوهات خط الأساس،مما يعني أنها لا تأخذ في الاعتبار؛** أي التدابير الحالية أو المستقبلية للحد من انبعاثات غازات الدفيئة مثل:

(بروتوكول كيوتو لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ واتفاقات كانكون) .

وقد استخدم العلماء بيانات «بروكسي» مختلفة لتقييم التغيرات السابقة في مناخ الأرض ، وتشمل مصادر البيانات الوسيطة سجلات تاريخية :

(مثل سجلات المزارعين ،وخواتم الأشجار والشعاب المرجانية وحبوب اللقاح الأحفورية والنوى الجليدية ورواسب المحيطات والبحيرات)، ويُشير تحليل هذه البيانات إلى أن الاحترار الأخير غير عادي خلال ال ٤٠٠ سنة الماضية، وربما لفترة أطول .

وبحلول نهاية القرن الحادي والعشرين قد ترتفع درجات الحرارة إلى مستوى لم تشهده منذ منتصف البلوسين قبل حوالي ٣ ملايين سنة. وفي ذلك الوقت تُشير النماذج إلى أن متوسط درجات الحرارة العالمية كان حوالي ٢-٣ درجة مئوية أكثر دفئا من درجات الحرارة قبل الصناعية. حتى ارتفاع ٢ درجة مئوية فوق مستوى ما قبل الصناعة، سيكون خارج نطاق درجات الحرارة التي تعاني منها الحضارة الإنسانية.

كما يمكن ملاحظة تأثير الإنسان على المناخ من خلال النمط الجغرافي للاحترار الملحوظ ، مع ارتفاعات أكثر في درجات الحرارة على الأرض، وفي المناطق القطبية بدلًا من المحيطات.

يمكن باستخدام النماذج التعرف على «العلامة» البشرية للاحترار العالمي في كل من المناطق البرية والمحيطية.

وتُعد المناطق القطبية الشمالية وأفريقيا والجزر الصغيرة والدلتا الآسيوية على الأرجح أكثر المناطق المتأثرة بالتغير المناخي المستقبلي ، وبعض الناس في مناطق أخرى هم أكثر عُرضة للخطر الناتج عن التغير المناخي المستقبلي، كالفقراء والأطفال الصغار وكبار السن، تُعد إفريقيا على الأرجح أكثر القارات عرضةً للتغيير المناخي.

وتوقع بوكو وآخرون (٢٠٠٧) بثقة أن عدة مناطق ودول **أفريقية، إضافة إلى الإنتاج الزراعي والأمن الغذائي،** سيتأثرون بشكل كبير بالتغيير المناخي وبتقلب المناخ أصدر برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة (يو إن إي بيّ، ٢٠٠٧) تقييمًا بيئيًا ،لما بعد الصراع في السودان. وفقًا لهذا البرنامج البيئي فإن الضغوطات البيئية في السودان ترتبط ببعض القضايا السياسية والاقتصادي والاجتماعية، كنزوح السكان والتنافس على الموارد الطبيعية .

يُعتقد أن التغير المناخي الإقليمي، من خلال انخفاض هطول الأمطار، كان أحد العوامل التي ساهمت في النزاع في دارفور. ويمكن للتغير المناخي إلى جانب مشاكل بيئية أخرى أن يؤثر على التطور المستقبلي في السودان .

كانت إحدى التوصيات التي قدمها برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة (٢٠٠٧) هي أن يساعد المجتمع الدولي السودان في التكيف مع التغير المناخي، أما كينيا الواقعة في منطقة القرن الأفريقي لديها قابلية عالية للتعرض لتأثيرات التغير المناخي ، تشمل المخاطر الرئيسية للمناخ حالات الجفاف والفيضانات مع توقعات كبيرة بهطول أمطار أكثر كثافة وأقل قابلية للتنبؤ. إضافة إلى ذلك، تتنبأ التوقعات الأخرى بارتفاع في درجات الحرارة بمقدار ٠٫٥ إلى ٢ درجة مئوية، قد تؤدي ظروف المستوطنات غير المنظمة أو «الأحياء الفقيرة» في المستوطنات الحضرية المزدحمة في نيروبي، كينيا، إلى تفاقم آثار التغير المناخي والمخاطر المرتبطة بالكوارث .

على وجه الخصوص، غالبًا ما تؤدي الظروف المعيشية للمستوطنات الكبيرة غير المنظمة إلى «مناخ صغير» أكثر دفئًا بسبب مواد بناء المنازل، ونقص التهوية، والمساحات الخضراء المتناثرة وضعف القدرة على الوصول إلى الطاقة الكهربائية وإلى غيرها من الخدمات، للتخفيف من المخاطر المتعلقة بالتغيير المناخي في هذه المستوطنات المجاورة غير المنظمة، وسيكون من المهم تحسين هذه المستوطنات من خلال تدخلات التنمية الحضرية المصممة لمقاومة المناخ، تشمل هذه التدخلات تحسينات تتعلق بالنفايات.

و هو ما جعل مؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي ٢٠٢١ قد ركّز على تعهدات الدول لتجنب تغير المناخ الكارثي؛ لذلك فإنَّ "مؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي ٢٠٢٢"(COP27)،والذى استضافته مصر بشرم الشيخ حول جمع السيولة اللازمة من البلدان الغنية و تحديد هدف المساهمات المالية لما بعد عام ٢٠٢٥حتى تتمكّن الدول النامية من القيام بدورها ، وإتاحة فرصة هامة للنظر في آثار تغير المناخ في أفريقيا ، حيث تثبت التقارير أنه بحلول عام ٢٠٣٠ سيتعرض ما يصل إلى ١١٨ مليون أفريقي من الفقر المدقع للجفاف والفيضانات والحرارة الشديدة، وهو ما سيؤثر بدوره على التقدم نحو التخفيف من حدة الفقر وتحقيق النمو الاقتصادي.

ويقدر التقرير أن الاستثمار في التكيف مع المناخ في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى سيتكلف ما بين ٣٠ إلى ٥٠ مليار دولار كل عام على مدى العقد المقبل، أو ما يقرب من ٢ إلى ٣ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي، وهو ما يكفي لتحفيز فرص العمل والتنمية الاقتصادية مع إعطاء الأولوية للانتعاش المستدام والأخضر.

وعليه ، ستركز حملة هذا العام على إيجاد حلول أسرع لمكافحة تغير المناخ و تسريع الانتقال نحو الاقتصاد الأخضر، بحسب ما نشرته مجلة "إي إس آي أفريكا" المتخصصة في الطاقة، والتغلب على العراقيل التي وضعها اقتصاد الوقود الأحفوري، وإعادة توجيه الانتباه إلى خلق اقتصاد يعيد سلامة بيئة الكوكب، ويحمي الجنس البشري ويوفر الفرص للجميع.

وعليه، قالت مارثا أما أكيا بوبي، مساعدة الأمين العام لشؤون أفريقيا : " تقع أفريقيا على الخطوط الأمامية من الأزمة المتفاقمة؛ من داكار إلى جيبوتي – التصحر وتدهور الأراضي يدفعان التنافس على الموارد ، ويقوّضان سبل العيش والأمن الغذائي للملايين. وفي القرن الأفريقي، يدفع الجفاف العائلات إلى الهجرة بعيدا عن ديارهم، وفي منطقة الساحل يزداد التنافس على الموارد، ويستغل المتطرفون العنيفون هذه الأحداث من أجل غاياتهم الخاصة وتابعت تقول: "لدعم القارّة الأفريقية في التصدي لآثار تغيّر المناخ على السلم والأمن، يجب علينا أن نتحرك على أصعدة متعددة.

ولا يمكننا تحمّل استمرار العمل كالمعتاد.وأشارت إلى الحاجة إلى عمل مناخي طموح وتسريع تنفيذ اتفاق باريس وأكدت أنه لا يمكن تحقيق سلام دائم دون تلبية الأهداف المناخية، واصفة مؤتمر الأطراف في شرم الشيخ بأنه "ملك لأفريقيا، ويركز على أفريقيا" ، وأعربت عن أملها في أن يخرج بالتزامات ذات مغزى من الدول التي تشكل أكبر مصدر للانبعاثات.

ثلاث أولويات للعمل:

أولها : الحاجة إلى زيادة قدرتنا على تحليل المخاطر ودمج منظور المناخ في جهودنا في صنع السلام وبناء السلام." هذا يتطلب معطيات أكثر وأفضل" ؛ لفهم أفضل لتوقعات المناخ واتجاهاته بهدف تعزيز القدرة على التحليل والإنذار المبكر، فاستجابتنا اليوم لا تتناسب مع حجم التحدي الذي نواجهه، دعونا نتحرك على نحو أسرع.

ثانيا، يجب لجهودنا في تحقيق السلام والأمن أن تضع الناس في المركز. "نحتاج إلى التعلم من أولئك الذين يعانون بشكل يومي من تداعيات تغير المناخ،

والاســـتفادة من خبراتهم لتطوير اســـتراتيجيات فعّالة للتخفيف من آثار تغيّر المنـاخ والتكيّف معهــا." وتحدثت عن النســاء بوصــفهن معرضــات لمخاطر آثار تغير المنـاخ على وجـه الخصــــوص، ولكنهن في نفس الوقت عوامل مهمة في التغيير."كما لفتت الانتباه أيضا إلى دور الشـباب "المهم" في القيادة المبتكرة للمناخ وبناء السلام."

ثالثا: يجب اغتنام الفرص للعمل المناخي وبناء الســلام، وأوضــحت أن بناء الســلام والعمل المناخي يشــتركان بالعديد من الأهداف المشتركة منها على وجه الخصوص الصمود والعدالة والشمولية في المجتمعات.

كما أن صـــندوق بناء الســلام يزيد من اعتماد منظور مناخي. منذ عام ٢٠١٧، اســتثمر الصــندوق ما يزيد عن ٨٥ مليون دولار في أكثر من ٤٠ مشـــروعا مراعيًا للمناخ. أيضًـــا ، أهمية الشـــراكات : حيث إن الأمم المتحدة ملتزمة بتوســيع الشــراكات القائمة وتشــكيل شراكات جديدة. " لقد أنشانا ضمن منظومتنا الخاصة آلية أمن المناخ، وهي مبادرة مشــتركة بين دائرة الشــؤون السـياسية وبناء السـلام وإدارة عمليات السـلام وبرنامج الأمم المتحـدة للبيئـة وبرنامج الأمم المتحـدة الإنمـائي، لمعالجة مخاطر المناخ والســـلام والأمن بشـــكل أكثر منهجية.لأن " اســـتجابتنا اليوم لا تتناســـب مع حجم التحدي الذي نواجهه، دعونا نتحرك على نحو أسرع".

علينا أن نفكر خارج الصـــندوق و إيجاد حلول و طرق أكثر إيجابية بشأن أزمة المناخ:

انشروا الوعي : شجعوا أصدقاءكم وعائلاتكم وزملاءكم في العمل على تقليل التلوث الكربوني، انضموا إلى حركة عـالميـة مثـل "كـاونـت أس إن Count Us In "، والتي تهدف إلى إلهام مليار شـــخص لاتخاذ خطوات عملية وتحدي قادتهم للعمل بجرأة أكبر بشأن المناخ .

استمروا في الضغط السياسي :الضغط على السياسيين والشركات المحلية لدعم الجهود المبذولة لخفض الانبعاثات وتقليل التلوث الكربوني.

قوموا بتحويل وسائل نقلكم :يعتبر قطاع النقل مسؤولا عن حوالي ربع جميع انبعاثات غازات الاحتباس الحراري، والســيطرة على اســتخدام الطاقة ، و اســتبدال مزود الطـاقـة إلى مزود خـال من الكربون أو يعمـل بالطـاقـة المتجددة.

عـدلوا نظـامكم الغـذائي : تنـاولوا المزيد من الوجبـات النباتية ،حيث يتم اســـتخدام حوالي ٦٠ في المائة من الأراضي الزراعية في العالم لرعي الماشية، ويستهلك الناس في العديد من البلدان أغذية من مصـــادر حيوانية أكثر مما هو صـــحي ، تســـوقوا محليا ، واشـــتروا منتجات مســتدامة لتقليل البصــمة الكربونية في طعامكم، قوموا بشراء الأطعمة المحلية والموسمية. سيساعد ذلك الشركات الصـــغيرة والمزارع في منطقتكم وســـيســـهم في تقليل انبعاثات الوقود الأحفوري المرتبطة بالنقل وتخزين سلسلة التبريد .

ارتــدوا ملابس "ذكـيـة بيئـيـا" : ابحثوا عن المنتجـات المستدامة واستعينوا بخدمات التأجير للمناسبات الخاصة بدلا من شراء ملابس جديدة سيتم ارتداؤها لمرة واحدة فقط. قوموا بإعادة تدوير الملابس التي تحبونها وإصلاحها عند الضـرورة. ازرعوا الأشـجار في كل عام يتم تدمير ما يقرب من ١٢ مليون هكتـار من الغـابـات. وتعـدِ إزالـة الغـابـات ، إلى جـانـب الزراعـة والتغيرات الأخرى في استخدام الأراضي، مسؤولة عما يقرب من ٢٥ في المائة من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري العالمية .

ركزوا على اسـتثمارات صـديقة للكوكب : يمكن للأفراد أيضــا تحفيز التغيير من خلال مدخراتهم واســتثماراتهم ، عن طريق اختيار المؤســســات المالية التي لا تســتثمر في الصناعات الملوثة للكربون.

لذلك يُعتبر مؤتمر المناخ الذى أقيم بشرم الشيخ يتضمن إنجازات حقيقية، ووضعت مصر يدها على موطن الخلل فى الموقف الدولى و أيضًـــا إقرار الاتفاق على إنشـــاء صــندوق لتعويض الخســائر والأضــرار هو اقرار تاريخي، طـالبـت بـه البلـدان النـاميـة على مـدى ثلاثـة عقود. فكوكبنـا يحتـاج إلى مزيـد من بـذل الجهـد للتخلص من التأثير السلبى للإنسان على المناخ و الأرض.



مذكرات "راسل باشا" حكايات الأمن والمحروسة أثناء الاحتلال البريطاني لمصر

بقلم: أحمد محمد إنبيوه

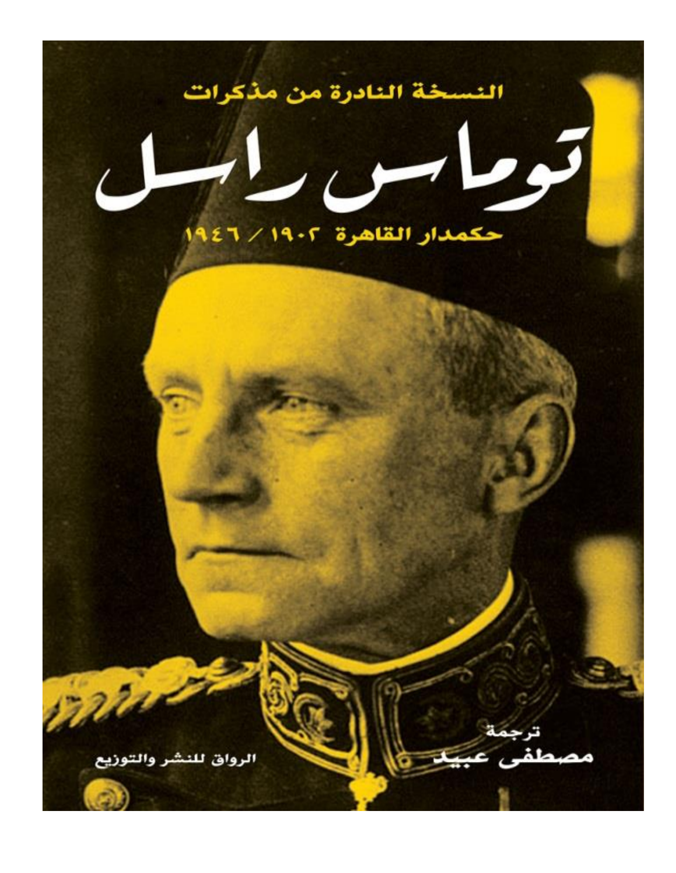
ورثت مصر ما بعد الاحتلال البنية المؤسسية والتنظيمات الحداثية التي أنشأها الباشا محمد علي وحفيده الخديوي إسماعيل ، بخاصة تلك التي تتعلق بالضبط والأمن وفرض السيطرة. ومن ثم حينما بدأت السلطة البريطانية الاحتلالية إعادة هيكلة الإدارة المصرية على مقاسات جديدة وتشكيلات وظيفية تتناسب مع مصالحها وتواجدها في مصر، وجدت أمامها الأرض ممهدة لإحداث مثل هذه التغييرات.

لكن من جهة أخرى كانت العوائق تتمثل في ناحية أخرى؛ إذ كانت أغلب القيادات العليا في الإدارة المصرية لا تزال محتفظة بأصولها التركية. إضافة إلى الامتيازات الأجنبية، التي جعلت من رعايا تلك الامتيازات في مكانة قانونية متميزة عن بقية المصريين.

في هذا الإطار والسياق تبدأ مذكرات رسل باشا المسئول الأول عن الأمن في المحروسة خلال النصف الأول من القرن العشرين. تبدأ المذكرات من حيث تحولت مصر لتكون سياق سياسي ومالي وإداري بريطاني.

أي بعد تحولت مصر لدولة تدور في الفلك البريطاني سياسيا واقتصادياً، كذلك على مستوى البنية البيروقراطية؛ ففي بدايات القرن العشرين كانت أعصاب ماكينة الإدارة المصرية تقع في أيادي بريطانية.

إذ احتل الموظفون البريطانيون المواقع الرفيعة وكانت لهم الهيمنة والنفوذ في الوزارات والإدارات التي كانت تقع تحت إشرافهم بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر.



صدرت مذكرات راسل باشا لأول مرة في لندن سنة ١٩٤٩ تحت اسم "في الخدمة المصرية". ويؤرخ فيها الرجل لسنوات خدمته في الإدارة المصرية. إذ يقول: "هذا الكتاب كتبته مستهدفاً إطلالة على حقبة زمنية من تاريخ مصر الحديث، وهي مرحلة التحديث التي شهدت جانباً منها ولم توثق بشكل جيد، وأعني بها الفترة المتأخرة للورد كرومر والفترة التالية له، وهي فترة المستشارين الانجليز ومفتشيهم الإقليميين، خاصة في وزارة الداخلية، التي كانت تماثل الوزارة الأم في لندن.

وقد سعيت أن أقدم القليل من الآراء بقدر الممكن

بشـــأن بعض الأحـداث أو الشـــخصـــيات.
إنني أحكي قصـة مصـر فيما اختبرته شـخصـياً، ولقد اعتمـدت في محتويات الكتـاب على مـدونات قـديمـة وتقـارير كتبـت خلال الفترة من ١٩٠٢ إلى ١٩٤٦ عندما غادرت الحكومة ولم أتجاوز ذلك".

لكن كيف أتى راســل لمصـــر؟ كان راســل فتى غض الإهــاب أكبر مؤهلاتـه لا تتعـدى كونـه إنجليزياً، وذو صـــلة بأحد ما في الإدارة المصـــرية، يملك خيالاً مسكون بالسـحر عن مصر موروث من كتب الرحلات والمستشـرقين التي تناولت الحياة في مصـر بوصـفها جنة الشرق الأثيرة.

وسـتبقى رواسـب من هذا النفس الاسـتشـراقي في رؤية الواقع المصـري لدى الفتى الذي سـيتحول بعد وقت من الزمن ليكون المســؤول الأول عن الأمن في المحروســـة.
لكن حقيقية ماذا تقدم مذكرات باشا؟

المذكرات تمثل منظوراً جديداً لإعادة اكتشـــاف وجه مطمور لتاريخ مصـــر في القرن العشـــرين، منظور رجال المحتل الإنجليزي الذين كانوا يعملون في ماكينات الدولة المصرية بوصفهم من رجال الإدارة المصرية قبل أن يكونوا موظفين انجليز. والكتاب في مجمله فرصـــة لإعادة طرح أســئلة تبدو بديهية، لكنها ليســت كذلك من قبيل: لماذا كان القتل ســـلوك طبيعي لدى البعض في أعماق الجسـد الطبوغرافي المصـري؟ هل المصـريون شـعباً يبحث عن الملهيات، المخـدرات والحشـــيش هرباً من واقعهم اليومي بشـــكـل فردي، أم كـانـت تلـك المخـدرات والمكيفـات وكـأنها طريقة للهروب الجماعي من التذكر اليومي لجثوم محتـل لا نعلم متى يفـارقنـا، ثم هـل كـان المصـريون أغلب تاريخهم شـعب مسـالم، متي زمنياً يمكن ملاحظة انتفاء الحاجة للقـانون في حيوات المصـــريين العادية؟ إنها أســئلة تقدم تاريخ الجريمة أو تواريخ أخرى "للشـوارع الخلفية" كما سماها عبد الوهاب بكر في كتابه المعنون بنفس الاســم "تاريخ الجريمة في النصــف الأول من القرن العشرين.. الشوارع الخلفية".

في الشـوارع الخلفية كانت تحدث كل الأشـياء التي يمكن أن تســتنكفها الروح النقية. وإن بمصــر حياة ليســت كالحياة وبشر ليسوا كالبشر. وهذا القول لا يصـدر من منطق اسـتعلائي أو فوقي، بل من باب الرغبة في القول أن الألم في مصـــر مقيم وألفي في قدمه. ومن ثم أورث هذا الألم لنا نفوسـاً شـائهه من فرط من انغرس فيها من ظلم هو الأخر كان ألفياً. لنرى مثلاً ملاحظة راســل باشا عن الفلاح المصري "يبدو الفلاح المصري، شخصاً مسالماً، يحترم القانون ويعمل بجدية ولديه إحساس عظيم بالفكاهة، وآخر شـيء يمكن أن تتهمه به هو أن يكون مجرمـاً. وبعـد أيام قليلـة من الإقـامـة في الريف يمكن اكتشـاف مدى تعقد الشـخصـية الهادئة المسـالمة التي قد تتحول في لمح البصــر، إلى قاتلة. الفلاح المصـــري كان الشـــخص الذي يرتكب جريمة القتل أو يحرّض أحداً على القتل بالملامح المســـالمة ذاتها التي تراه يحملها في الحقل. إنه يتصور نفسه مُضطهداً أو مظلوماً أو منتقص الحق والشـرف، هو أو عائلته، ما يدفعه إلى التحول من تابع لطيف إلى قاتل متهور عندما يصـــبح عدوه بين يديه، أو يعد لمؤامرة لاغتيال عدوه لو كان بعيداً".

الجريمة في أعماق الريف المصري

كانت الجريمة مضـــفورة في الحياة اليومية للفلاحين في ريف الدلتا والصـــعيد، تكاد تكون من أبجديات الحياة اليومية، وهذا ما يرصده راسل باشا. ويرجع وجود الجريمة لأكثر من عـامـل وإن كـانـت تـدور حول وجود الثـأر وتعقيداته كما يضيف سبباً آخر ممثل في "وصول آلاف البنـادق الحـديثـة إلى أيـدي الفلاحين، بعـد كـانوا يســـتخـدمون أســـلحـة من قبيـل البلطات والحراب الحديدية. والآن -أي في أربعينيات القرن العشـــرين، أصـــبح طموح كل شـــاب أن يمتلك ســلاحاً حديثاً، إنجليزي الصنع، وليس بالضـرورة لأغراض العدوان، وإنما لإظهار خشـــونته أمام فتيات القرية، وليواجه به قطاع الطرق المحللين". وما ساهم في انتشـار الأسـلحة؛ تركت الآلاف منها وملايين الطلقات النارية في أراضـي المعارك

(الحرب العالمية الثانية) في برقة وليبيا. والتي تسربت فيما بعد لداخل الأراضي المصرية.

والمثير أن راسل باشا لا ينشغل بالجريمة فقط، بل ينغمس قليلاً في تشريح بنية العمق المصري البعيد في ريف الوجه البحري والقبلي، والذي يتصل في المنتهى بالجريمة؛ على اعتبار أن الفقر وفساد الحياة اليومية يؤدي لفتح باب صغير للجريمة "أحوال الفلاحين على مستوى البلد كانت بائسة.. ومن المهم تفسير تدني مستوى الصحة للفلاح، وهو ما يمثل مشهداً تراجيدياً مهماً. إنه يتضح بشكل رئيسي في انتشار مرضين خطيرين، هما البلهارسيا والأنكلستوما، اللذان - طبقاً للبيانات الرسمية — يصيبان ٨٥٪ من سكان مصر من الذكور، بالإضافة إلى انتشار عدوى الملاريا والبلاجرا، بخلاف معاناة الجميع من نقص التغذية. لقد استوطنت البلهارسيا في البلاد على مدى سنوات طويلة، وكانت محصورة في الدلتا، لكنها الآن منتشرة في مصر الوسطى والعليا (الصعيد) بنتائجها البائسة ذاتها على صحة الفلاحين وطبيعتهم". ويستمر راسل باشا في استكمال تشريحه للواقع المصري في الريف وواقع الريف" قبل أربعين عاماً، لم يكن الوباء معروفاً في الصعيد، وكان الفلاح الصعيدي فقير لكنه يتمتع بصحة جيدة ممثلاً العنصر الأفضل للعمالة في البلاد. كيف حدث التغيير؟ ".

يُرجع راسل السبب الرئيسي لتدهور صحة فلاحي الصعيد للتحول خلال أربعين عاماً من ري الحياض إلى الري الدائم (الغمر). وكانت النتيجة الأولى لنظام الري الدائم في مصر الوسطى والعليا، هي عدوى البلهارسيا والأنكلستوما، التي انتقلت عبر المياة من الدلتا التي كانت متوطِّنة فيها إلى مصر الوسطى والعليا، محدثة آثاراً بائسة في قوة العمل والصحة العامة للبلد. لقد أنتج وسط مصر وجنوبها في الأزمنة السابقة، أفضل عامل يدوي. ومع ظهور المرض بشكل مستفحل، وتدني القوة العضيلة وانخفاض مستوى الدخل، أخذ الفلاحين يبحثون عن مصادر للإلهاء والانفصال ولو جزئياً عن واقعهم المرير" واليوم يقوم الفلاحون بمزج تبغ سجائرهم بالأوراق الجافة لنبات الهيوسياموس الذي ينمو برياً في الوجه القبلي. وهو ما يؤكد أن الرغبة في الحصول علي المخدر تبقى ما بقيت أسبابها. إن تغير نظام الري أدى إلى انتشار البلهارسيا والأنكلستوما في جميع أنحاء البلاد، وصاحب ذلك نمو لبعوضة الملاريا، والأثنان معاً، في رأيي، وراء تعاطي المخدرات في مصر؛ لذا، فإننا لن نتمكن أبداً من إيقاف تجارة المخدرات ما دامت الرغبة باقية. ومن جانب آخر، نجحت الحكومة بوسائلها المختلفة في وضع صعوبات كثيرة في طريق التجارة المحرمة، ما أدى إلى ارتفاع الأسعار لما فوق قدرة كثير من الفلاحين. ومع عدم قدرتهم على شراء الحشيش والهيروين، فقد لجأ البعض إلى عادة جديدة هي شرب الشاي المغلي. وأتذكَّر في أحد تقاريري الأولى، أنني أشرت إلى ذلك، غير أن السلطات الصحية ردت عليّ بأن غلي الشاي عدة مرات يؤدي إلى تبخر كثير من عناصره الضارة. لكنني أستطيع أن أقول: إن الجميع يعلم أن يُسمية الفلاحون الشاي الأسود يأخذ كثيراً من أموالهم وصحتهم".

إذن فقد كان الريف هو الكيان الهائل المهمل في عمق تكوين البيئة المصرية، ومن ثم لا نستغرب ارتفاع نسب الجريمة فيه "كان عدد سكان مصر سنة ١٩٤٧ يقدر بنحو ١٧ مليون شخص، فإن منهم خمسة ملايين تسكن المدن و١٢ مليوناً يقطنون الريف، فإن المتوسط العام للجرائم سنوياً خلال الفترة من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٤ نحو ٧٩٠٠ جريمة، منها ١٨٠٠ في المدن الأربع الكبرى: أي القاهرة والإسكندرية والسويس وبورسعيد، ونحو ٦١٠٠ في باقي المحافظات. ومن بين تلك الجرائم: هناك ٢٩٥٧ جريمة قتل أو شروع في قتل، منها ٢١٢ في المدن الأربع الكبرى، و ٢٧٤٥ في باقي المحافظات.

والمستخلص من تلك الأرقام أن الجريمة الأكثر انتشاراً في الريف هي القتل، سواء نجح أم لم ينجح.

كما تُظهر الأرقام أن جريمة قتل تحدث في الريف كل ثلاث ساعات .

وكانت مصر، في ذلك الوقت، تتكون من ١٤ مديرية، ولكل واحدة حاكم أو مدير على رأس الإدارة، وهو بمثابة موظف كبير بوزارة الداخلية، وكانت له صلاحيات واسعة خاصة في الإدارة المحلية والأمن العام. وتنقسم كل مديرية إلى عدد من المراكز، ولكل مركز ضابط مسؤول يسمى المأمور، وتحت تصرفه عدد من الشرطيين الفرسان والمترجلين. أما رئيس الشرطة على مستوى المديرية فهو الحكمدار الذي يتلقى أوامره من مدير المديرية (المحافظ). ويتعامل المفتش مع بعض المسؤولين في الوزارة بالقاهرة، وهم في الغالب: المستشار الإنجليزي، ومدير الأمن العام، ومدير شؤون الأفراد. وكان المفتش في الريف يتعامل بشكل يومي مع المدير (المحافظ) ويقدم مقترحاته لمختلف الشؤون، كما كان يكتب إلى رئيسه في القاهرة، الذي كان بمثابة مستشار للوزير.

يتحول راسل ليخبرنا عن مهمة مفتش الداخلية، وهي المهمة التي مارسها ردحاً من الزمن في أعماق الوجه القبلي "كانت المهمة الرئيسية لمفتش الداخلية أن يعرف قرى المديرية التي عُين فيها، وأن يعرف الفلاحين الذين يعيشون فيها، وكذلك العمد الذين يحكمونها. ومن واجبات المفتش الأولى أن يعرف العمد في مديريته، وواجبه الثاني يتمثل في النظر في فاعلية الشرطة وقدرتها وتأثيرها في مراكز المديرية. ويمكن القول إن الإدارة الحكومية كانت معقدة للغاية بسبب العلاقات الأسرية التي تربط بين موظفيها، وهنا فإن دور المفتش الإنجليزي له أهمية قصوى؛ لأن آراءه لا تتأثر بأي تأثيرات من هذا القبيل. وكان للمفتش نقطة قوة أخرى تتمثل في الكتاب الذي يحمله بحكم المنصب، الخاص بتاريخ القرى والعمد، وكان في بعض الأحيان يعرف أكثر مما يعرفه مدير المديرية نفسه".

ومن ثم، في جانب من المذكرات نجد راسل باشا يفخر بأنه هو الإنجليزي الوحيد وربما كذلك المصري الوحيد الذي عمل في جميع نقاط الشرطة في بر مصر من أسوان إلى الاسكندرية بما فيها الواحات الغربية، والصحراء الشرقية والغربية على السواء. وقد رأى راسل في هذا التطواف فوائد كثيرة من قبيل "وكانت الحياة في الاستراحات الريفية، على الرغم من ظروفها القاسية، ممتعة ولها جوانبها الإيجابية؛ حيث كن نلتقي أطباء، ومفتشي صحة، ومفتشي زراعة. وفي عواصم المديريات، مثل أسيوط وطنطا والزقازيق كنا نستمتع بضيافات الجاليات الإنجليزية المقيمة، من موظفي الري والسكة الحديد. وهكذا يمكن لأي مفتش داخلية أن يلتقط كثيراً من الكلمات العربية ويتحدث بها بشكل أفضل من غيره من الموظفين الانجليز في باقي الإدارات". وكان من المنطقي أن نجد في أكثر من موضع راسل يقدم وصفاً عاماً لطبوغرافيا الأرض المصرية، "عندما انتقلت إلى الدلتا عام ١٩٠٩ قضيت كثيراً من الوقت في فصول الشتاء في التجول حول بحيرات المنزلة والبرلس، التي كانت تغص بالطيور المتوحشة من كل الأنواع. وبين نصفي مصر، كنت أفضل الوجه القبلي على السفلي على الرغم من حرارة الصيف اللاهبة للأول. وبدت لي معظم الدلتا كحديقة خضراء ضخمة من دون ملامح، ومثلها كان الوجه القبلي؛ فقد كان أشبه بشريط ضيق على ضفتي نهر النيل وعلى جانبيه الشرقي والغربي تمتد صحراء كبيرة ".

ثم يتحول راسل باشا لتشريح بنية الحياة في القرية المصرية كما لو كان انثربولوجياً عتيداً يستخدم ريشته ليرسم صورة متقنة للقرية في النصف الأول من القرن العشرين "الغالب الأعم في القرى أن نرى فيها بعض المباني الحسنة، غير أن معظم البيوت التي يقطنها السكان هي أقل من الكوخ؛ حيث يستريح الفلاح وماشيته ليلاً فيه كمأوى. والفلاح في مصر جزء من التربة؛ حيث يغادر مع شروق الشمس، ومتى يعود فليس لديه الوقود الكافي لإضاءة البيت، وغالباً يتناول وجبة العشاء باردة؛ لذا فإن الأسرة تنام سريعاً متمددة على حصر أو على

الأرض الجافة في الغرفة الرئيسية، بينما تنام الماشية في فناء المنزل. أما المنازل الأفضل فلديها طابق علوي يصعد إليه سلم خارجي، ويضم غرفتي معيشة وشرفة مسطحة تنام فيها الأسرة صيفاً ويتم فيها تخزين القمح والذرة والأعلاف. وتلتصق المنازل معاً مثل أسنان المشط، بغض النظر عن قلتها أو كبرها، وتفتقد أي ترتيبات صحية باستثناء المسجد. وفي معظم القرى، فإن كل قطرة ماء يتم جلبها من خلال النساء من النهر مباشرة أو من أقرب ترعة.. وعلى رأس هذا المجتمع يتسيّد العمدة، الذي يعتبر ممثل الحكومة في القرية، وعليه التزامات لكنه لا يتقاضى عليها راتباً، إنما يتمتع ببعض المزايا.. من بعد العمدة هناك ثلاث شيوخ للبلد كل منهم مسؤول عن حصة من الأراضي. أما شيخ الغفر فهو الذراع اليمنى للعمدة للشؤون الأمنية، الذي يقود ما بين عشرة واثنى عشر غفيراً يعملون بالحراسة طوال الليل. أما الشخص التالي في الأهمية في القرية، فهو الصراف أو المحاسب الحكومي، وهو الشخص الذي يعرف جميع ملاك الأراضي، ومسؤول عن تحصيل الضرائب وأي رسوم حكومية أخرى. كذلك كان لكل قرية حلاق، وهو الممثل البارز لوزارة الصحة، والمسؤول عن تسجيل المواليد والوفيات، والذي يقوم في بعض الأحيان ببعض الأعمال الطبية على مسؤوليته. إن لنظام العمدة عيوبه، لكنه يمثل القاعدة الأساسية في نظام القرية، ومن الصعب جداً أن يتم استبدال نظام آخر به". ومن المثير أن راسل باشا ما يلبث أن يعود بين الفينة والأخرى لتفكيك بنية الطبوغرافيا المصرية من الدلتا للصعيد ومن شواطئ ساحل المتوسط إلى الواحات ذات المياه العذبة في قلب الصحراء المصرية مترامية الاتساع. ويبدو الرجل وكأنه يملك حنيناً خاصاً للصحراء المصرية وبالأخص الصحراء الشرقية التي كانت الأكثر جذباً بالنسبة إليه. وقد أورثت سنوات راسل باشا في الصحراء صلاته بجوانب أكثر غرابة إذ يقول، لعبت رحلات الصحراء جانباً مهماً في حياتي في تلك السنوات. كنت كلما انتهيت من رحلة فكرت في إمكانية تكرارها في العام التالي. غير أن الحياة في المديريات كانت تتضمن ألعاباً أخرى يمكن الاستمتاع بها خلال يوم العمل العادي. واحدة من هذه الألعاب كانت اصطياد الأفاعي، وكان لابد لواحد عاش مثلي تلك الفترات الطويلة في الوجه القبلي أن يقابل حاوي الأفاعي. وقد كان صيد الأفاعي يمارس في القاهرة بنفس إمكانية ممارسته في أي مديرية أخرى. وربما تكون أول الأسئلة التي تُسأل عندما يدور الحديث عن حواة الأفاعي هو إن كان ذلك حقيقياً أم لا، وإجابتي عن هذا السؤال أن هذا السحر حقيقي ووهمي معاً. ويذكر راسل باشا أن كل حواة الثعابين ينتمون إلي الطريقة الرفاعية، التي لديها قواعد خاصة وتراتيل وأذكار معينة مقصورة على أتباعها". وفي هذا الإطار يحكي راسل باشا عدد من مغامراته مع الحاج أحمد أشهر مروضي الأفاعي الذين قابلهم راسل باشا. وهو "الطفل الذي ولد في قرية صغيرة تابعة لمركز بلبيس، وفي أحد الموالد ببلبيس تعرف الصبي على الشيخ البيومي المشعوذ العجيب حاوي الثعابين، وأعجبته حياة المغامرات التي يحياها وكذا هرب من البيت وانضم إلى الشيخ البيومي، الذي أخذه معه إلى القاهرة، وعلى مدار سنوات شاركه الصغير ألعابه وحيله للإمساك بالثعابين".

ماكينة الأمن في المحروسة

عبر الصفحات نكتشف مع راسل كيف كانت تُدار ماكينة حفظ الأمن في مصر بدلتها وصعيدها، وكيف كان يتم التحايل على الأمن أيضاً "مؤسسة الشرطة المصرية شبيهة بالشرطة في أي دولة، إلا أن الاختلاف الوحيد بين الشرطة المصرية والانجليزية كان فيما خص تحديد التهمة؛ إذ كانت مصر تأخذ بالنظام الموجود منذ نابليون، وهو أن تحديد التهم للمتهم يتم من خلال النيابة التابعة لوزارة العدل، وكان على رجل الشرطة أن يبلغ النيابة فور حدوث الجريمة ويبدأ التحقيق.

وكان رجل النيابة يقوم إما بفتح تحقيق جديد

أو باستكمال تحقيقات الشرطة. وفي جميع القضايا يتلقى الشرطي الأوامر من رجل النيابة الذي كان، حال اقتناعه بالجريمة، يحوّل الأمر إلى قاضي التحقيقات، وفي حال عدم كفاية الأدلة يقوم بحفظ التحقيقات. ولا شك أن هذا النظام المزدوج كان له إيجابيات مثل رقابة أي فعل غير قانوني من جانب الشرطة، غير أن جوانبه السلبية ظهرت في تعطيل كثير من القضايا، خاصة أن العلاقات بين الشرطة والنيابة في الغالب لم تكن جيدة ".

في مواضع أخر من مذكراته نجد راسل باشا يعود بين الفينة والأخرى لهيرايركية الشرطة المصرية أثناء النصف الأول من القرن العشرين "لقد كانت هناك نماذج مختلفة للشرطة في دول العالم المختلفة؛ ففي بعض البلدان تعمل الشرطة خدماً وموظفين لدى العامة، بينما في بلدان أخرى يعتبرون أنفسهم سادة العامة. في الأول تحصل الشرطة على الدعم الكامل والمساعدة من المواطنين، بينما في الأخرى فإن العامّة يخافون الشرطة ويتجنبونها. وفي الماضي كان الأمر يختلف كثيراً في مدن مصر؛ حيث نجد الطبقات العليا تتجاهل الشرطة، بينما الطبقات الدنيا تخاف منها. أما الآن فإن جميع الطبقات تنظر إلى الشرطة باعتبارها وسيلة مساعدة وتنتظر خدمات منهم. إن مصر قبل سنوات، كانت تستخدم الوسائل والأدوات الأرخص لقوات الشرطة لديها. لقد كان يتم اختيار عساكر الشرطة الراكبين والمترجلين من العساكر الاحتياطية. وكان كل مصري خاضعاً للتجنيد في الخدمة العسكرية إلى مدة قد تصل إلى عشر سنين قبل أن يتم إقرار البدلية للإعفاء والمقدرة ب ٢٠ جنيهاً.

ولذا فإن معظم عناصر الشرطة كانوا من الطبقات الأكثر فقراً وجهلاً في المجتمع.

وفيما يتعلق بمستوى كفاءة شرطة المدن المصرية، فعلى الرغم من قلة الرجال وقلة العربات، فإن عمل الشرطة في المدن الرئيسية الكبرى كالقاهرة والإسكندرية وبورسعيد والسويس كان على درجة جيدة تتناسب مع طبقة الجرائم الشائعة الموجودة الآن.

ولقد كان مستوى عمل الشرطة في المديريات أدنى منه في المدن، وذلك لعدة أسباب؛ فمثلاً كانت التحقيقات مع المجرمين في القرى صعبة للغاية؛ لأن الفلاحين لا يتعاونون في تقديم الأدلة خوفا من المجرمين، كذلك كان هناك العدد الكبير من البنادق التي وصلت لأيدي الفلاحين والبدو".

ثم ما يلبث أن يدخلنا في تكنيكات عمل الشرطة آنذاك. وليس أبدع من الاستعانة بقصاصي الأثر لحل الجرائم واعتبار اثار الاقدام كالبصمات اليوم. ويروي لنا راسل باشا كيف أنه اعتمد علي قصاصي الأثر بشكل احترافي في دورياته الصحراوية لضبط الأمن " في عام ١٩٠٤ بعثت إلى وزارة الداخلية أطلب منهم تكوين فرق شرطة محمولة على جمال وكانت الفرقة الأولى عددها ٢٤ جملاً ورجلاً. واخترت أسيوط مركزاً لبداية الفرقة. وكان قصّاصو الأثر أهم العناصر التي تمت الاستعانة بها، وقد تم جلبهم من قبيلة البشارية، خاصة وأننا لم يكن لدينا ثقة بالأعراب المحليين". وسيذكر راسل باشا حامد قصاص الأثر بشكل متكرر وبأكثر من موضع في مذكراته باعتباره قصاص الأثر الأول لديه. ويعدد راسل باشا من ضمن إنجازاته قدرته على إقناع بعض رجال النيابة والقضاة في أسيوط باعتماد قص الأثر من بين الأدلة المعترف بها. فكما يقولون في المرويات المرتبطة بالصحراء والحياة فيها "إن الصحراء لا تكذب أبداً". والحقيقة كما يقول راسل باشا " إن اختبارات الأثر، التي صارت النيابة والشرطة تجريانها، كانت تحتاج إلى أشخاص لديهم خبرة جيدة، حتي يحصلوا على نتائج حقيقية". ويبدو راسل باشا واثقاً من قدرة الأثر في فك مغاليق القضايا الصعبة، يروي أن مهارات قصاصي الأثر كحامد مثلاً لم تكن لتمنعها المدينة. ففي إحدى قضايا السرقة التي جرت في الأزبكية بمدينة القاهرة، فإن التحقيق الاعتيادي للشرطة لم يصل إلى أي نتيجة. وجاء حل لغز القضية على يد حامد، وعلى الرغم من أن الدرجات الحجرية والسجاجيد

الفاخرة لم تكن أرضاً معتادة لعمل حامد، لكنه في النهاية تمكن من حل لغز القضية تماماً .

وغير قصاصي الأثر لجأ الرجل لأساليب جديدة أخرى لتدعيم عمل البوليس؛ كالاستعانة بالكلاب المدربة. فكما يقول راسل باشا " أن الشرطة المصرية حتى عام ١٩٣٦لم تكن تملك أية وسائل جديدة للتحكم في الجريمة. إلى أن تم الاستعانة بالكلاب المدربة في عمل الشرطة وكان أشهرها وأمهرها الكلب هول، وبلغ من جودة عمله أنه في عام ١٩٣٨ استخدم هول فيما لا يقل عن ١٧٠ قضية وجريمة جرت في هذه السنة. وفي ٣٢ قضية من تلك القضايا اعترف المجرم الذي اكتشفه الكلب بجريمته، وفي ٥٨ قضية أنكر الفاعل الذي حدد الكلب آثاره وجريمته، غير أن التحقيقات أثبتت كذبه وصدق الكلب. وهكذا صار واضحاً لدينا قوة الكلب وبراعته وقدرته على التحمل. وقد كان مجرد ظهوره في كثير من القضايا وسيره على مسرح الجريمة سبباً مباشراً في قيام الشخص المذنب بالمسارعة بالاعتراف بالجريمة قبل أن يكشف عنه الكلب. وكان هول في ذلك الوقت هو الموظف الأشهر لدى البوليس في البلد وكان له جمهور كبير يضم المئات، يتجمعون لمشاهدة اكتشافه للمجرمين المثيرين للخوف، الذين يستأسدون على الناس".

لكن رغم هذا كان ثمة ما يعيق عمل البوليس ويمنعه **من الوصول إلى كافة المجرمين بغية تحقيق درجة عالية من الأمان؛** إذ كان النظام القضائي المصري يعاني من خلل مزمن في موازين العدل، فكانت الامتيازات الأجنبية حجر عثرة دائم أمام أي محاولة حقيقية لفرض النظام وتطبيق القانون وتحقيق العدل، وكان من الطبيعي أن يلفت هذا الوضع الشائك نظر راسل باشا مسؤول الأمن في المحروسة وحكمدارها لسنوات طوال. "في مدينة كوزموبوليتانية مثل الإسكندرية أو القاهرة، كانت كثير من القضايا التي يتم فيها اتهام أجانب تخضع لمحاكم قنصلية مختلفة. وهكذا لم يكن غريباً أن تزدهر جرائم الأجانب في ظل تلك الامتيازات، وكان البوليس يشعر بالحسرة عند فك قيود المجرمين الأجانب". وفي موضع آخر يتحدث راسل باشا عن القيود التي فوضتها الامتيازات الأجنبية علي عمل البوليس "لقد كانت الامتيازات الأجنبية تعوقنا، خاصة عند التعامل مع دور البغاء غير المرخصة التي يملكها الأجانب. ذلك لأن الشرطة لم يكن في إمكانها دخول بيت أجنبي من دون إذن وحضور القنصل الخاص بذلك البلد الأجنبي أو من يمثله ".

وبعد التطواف في المديريات والقرى والصحاري، تأتي مرحلة العمل في المدن الكبيرة.. "في عام ١٩١١ أصبح مقعد نائب حكمدار الإسكندرية شاغراً، وتقدمت للوظيفة ونجحت لأتولى المسؤولية في مارس من ذلك العام. وبعد ثماني سنوات عجيبة في المديريات المصرية، قدمت إلى عالم مختلف كثيراً؛ فالإسكندرية بأرصفة السفن، وبورصتها، وصناعة الأقطان الكبيرة فيها تعد مركزاً تجارياً (مانشستر مصر)، بينما القاهرة دوماً مقراً للحكم. كانت للإسكندرية بعض السمات الغربية المتبقية من أصولها الإغريقية، ما يجعلها تبهر القادم الجديد بعض الشيء". لكن ماذا عن عمل البوليس في المدينة واختلافه عن القرية أو المدينة الصغيرة. "وكان تنظيم الشرطة في المدن يختلف كثيراً عنه في المديريات؛ فقد كانت كل مدينة تحت إدارة حاكم مصري يتبع مدير المديرية، لكن الشرطة كانت تحت قيادة حكمدار إنجليزي ومعه مجموعة من المرؤوسين الإنجليز. وكان حكمداري في الإسكندرية هو اللواء هوبكنسون باشا، وخلال عملي لسنتين في شرطة الإسكندرية عايشت أحداثاً كثيرة منها مثلاً: مرور موكب المحمل الشريف نحو الميناء لإرساله إلى مكة". ثم ما يلبث راسل باشا أن يخبرنا عن بعضاً من عمله أثناء كونه نائباً للحكمدار في مجتمع الإسكندرية السفلي؛ مجتمع الجريمة الذي يحتل الأجانب فيه مكانة معتبرة استناداً للامتيازات الأجنبية . ثم تأتي القاهرة، أهم وأطول فترات عمل راسل باشا

في خدمة الحكومة المصرية "في سنة ١٩١٣، وبعد عامين من العمل مساعداً لحكمدار الإسكندرية، نُقلت إلي القاهرة في المنصب نفسه للعمل تحت رئاسة هارفي باشا". كانت القاهرة كما هو الحال دائماً مركزاً للصراع السياسي والصخب الاجتماعي. وكما هي المركز السياسي والحضري للبلاد هي أيضاً مركزاً للجريمة. وهذا ما لفت نظر راسل باشا، ليس الجريمة على إطلاقها وإنما ما أسماه "مجتمع القاهرة السري". ويبدأ حديثه عن معالم هذا المجتمع بالقول: "قبل بضع سنوات من الآن، كان هناك مقصدان سياحيان -يقصد في طبوغرافيا الإجرام- وش البركة والوسعة. كانت وش البركة، عند التحاقي بشرطة القاهرة، أكثر صيتاً من الوسعة، باعتبارها منطقة دعارة. وكان سكان هذه المنطقة في ذلك الوقت من النساء الأوروبيات الحاصلات على رخصة ممارسة البغاء. وحتى سنة ١٩١٦، كان لمنطقة الوسعة ملكها الخاص، وهو رجل نوبي سمين يدعى إبراهيم الغربي، الذي كان يرى واضعاً ساقاً فوق الأخرى على إحدى الدكك الخشبية أمام أحد منازله في شارع عبد الخالق. وكان يرتدي ملابس نسائية وغطاء شعر، ويجلس صامتاً كصنم أسود، وفي بعض الأحيان يرفع يداً مثقلة بالمجوهرات لأحد المارة ليقبلها بإعجاب، أو يمنح أحد خدمه أوامر صامتة. لقد كان لهذا الرجل نفوذ عجيب في هذا البلد، وذلك النفوذ لم يقتصر فقط على عالم البغاء، إنما تعداه إلى عالم السياسة ومجتمع الصفوة. لقد كان شراء النساء وبيعهن كسلعة في القاهرة وباقي المحافظات لا يتم من دون إذن هذا الغربي ورأيه" .

لكن ما تلبث أسطورة الغربي أن تنتهي بحلول الحرب العالمية الأولي ففي عام ١٩١٦، ومع وجود آلاف من جنود الامبراطورية داخل القاهرة، اتخذت إجراءات حاسمة باتجاه مجتمع البغاء في المدينة. فقبض علي الغربي ومات خلال حبسه". وبحسب راسل باشا فإزاحة الرجل لم تكن مرضية لمهنة البغاء في مصر "فقد كان محبوباً من نسائه وحازماً معهن. ومع خلع ملكهن، بحثت العاهرات عن شخص آخر لحمياتهن، وهو ما يحدث معهن في جميع دول العالم ."

راسل والثورة

لا يمكن أن تكتمل دهاليز العمل داخل البوليس المصري، دونما التلاقي مع أحداث ثورة ١٩١٩، وهي التي أسماها راسل باشا "الاضطرابات الداخلية؛ لأن رجل الشرطة دائماً يقف في صف القانون والأوامر، بعد أن يتعاطف مع تحرك المصريين بقوة". ويكمل الرجل تفسيره الاستشراقي لكيفية اشتعال الثورة "إن أي شخص يعرف الشرق يدرك كيف يمكن للجموع أن تشتعل، وكيف يمكن للغضب الهستيري أن ينتشر بينها خلال بضع دقائق. يوم ٧ مارس كانت البلاد تغلي بالاضطراب السياسي بسبب رفض السلطات البريطانية طلب الزعيم الوطني سعد باشا زغلول زيارة لندن حتى يطلب استقلال مصر. وفي اليوم التالي تم القبض على زغلول وأتباعه ونفيهم إلى جزيرة مالطة. وهذه في نظري كانت الشرارة الأولي التي أشعلت الثورة. وبحلول الاثنين، العاشر من مارس، جرت أحداث عظيمة؛ لقد بدأ الأمر بمظاهرات الطلبة، لكن خلال وقت قصير فإن شعب الغوغاء قد خرب عربات الترام، ولمبات الإضاءة، وتم قذف الأوروبيون والجنود البريطانيين بالحجارة".

أما عن راسل باشا في وسط هذا الجو العاصف " وحتى تلك الأثناء، فقد بذلت كل ما بوسعي لضبط الاضطرابات بالتعاون مع الشرطة المصرية من خلال قوة صغيرة تحت إمرتي، لكن لم تلبث الأوضاع أن تطورت بسرعة، ما جعلها تخرج عن السيطرة.

وفي يوم الثلاثاء، الحادي عشر من مارس، في الساعة الثامنة والنصف صباحاً، اضطررت لطلب النجدة من السلطات العسكرية البريطانية". إن ما يصوره راسل باشا عن تفاعل المصريين العنيف مع أحداث الثورة بصورة تجعل منهم شعباً خارجاً عن السيطرة وكأن الثورة ذاتها فعلاً داخل التأويل المنطقي.

بل تعدى راسل باشا هذا الحد ليجعل من بعض

المشاهد من المصريين شعباً دموياً لا يعرف أي نظام. ويستكمل راسل باشا تعداده لمظاهر العنف التي صاحبت الفاعليات الثورية "لقد خرج أشراس المدينة، ليقطعوا أسلاك الهاتف ويحصنوا الشوارع وينشروا النهب. إن معظم الاضطرابات جرت بسبب خروج بعض الطبقات الدنيا من الأوروبيين من تعقلهم وقيامهم بإطلاق الرصاص من داخل منازلهم على المتظاهرين، ما دفع هؤلاء إلى مهاجمة منازل الأجانب وقتل سكانها. لقد ارتكبت جرائم قتل مريعة ضد الأفراد البريطانيين والهنود من قبل الثوار في الشوارع. وضرب أحد مخبرينا المصريين حتى الموت بالقرب من قسم الشرطة ورقص الثوار حول جثته ".

ومن الأمور المثيرة ما ذكره راسل باشا عن مظاهرات النساء خلال الأجواء الثورية التي لحقت ببر المحروسة في مارس ١٩١٩ "في سنوات الصراع السياسي، كانت هناك وقائع طارئة بدأت كأحداث خطيرة، لكنها بالنسبة للجميع انتهت بشكل هزلي، وكانت أولى تلك الوقائع مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩. لقد لجأت المتظاهرات إلى العنف. وفي ظل النظرة السائدة للنساء في المجتمع الشرقي باعتبارهم حريماً، ما جعل هجوم مظاهرة النساء يصيب العسكريين البريطانيين بالاضطراب ويدفعهم إلى التعامل بتهور مع النساء وأبنائهن". إن ما كتبته راسل باشا عن مظاهرة النساء يثبت أن الثورة في مارس ١٩١٩، لحقت بأغلب سكان مصر المحروسة، حتى أولئك الذين كان يراهم المجتمع ربات الخدور لم تكن لتمنعهم تلك النظرة من المشاركة بشكل ملفت في فعاليات الثورة، وهذا ما عكسته مذكرات راسا باشا على نحو جلي.

راسل والمخدرات

ثم يختتم راسل باشا مذكراته بالدور المهم الذي لعبه في مكافحة تجارة المخدرات " لقد توليت قيادة شرطة القاهرة من هارفي باشا في ١٩١٧، ومنذ عام ١٩١٩ وحتي عام ١٩٢٤ كان معظم وقتي مخصصاً لمتابعة الثورة وقضايا الاغتيال السياسي. أما بعد ذلك فكانت المخدرات هي التي تشغل أغلب حيز العمل". وعن الحشيش والمخدرات عموماً نجد راسل باشا يتحدث بكثير من الاستفاضة "ومنذ أيامي المبكرة في مصر، كان لي أن أتعامل مع تجارة الحشيش. وكان الضرر الناتج عن المخدرات معتبراً بلا شك، لكن أحداً لم يفكر في ذلك. لقد كان الظهور الأول للكوكايين في القاهرة ١٩١٦ ليُقبل عليه بشكل كبير كثير من المترفين، كذلك الحال مع الهيروين ذي المفعول الأشد، ولم يكن لدينا ما نفعله حيال ذلك سوى القليل عندما نضبط التجار أو المهربين حيث كانت العقوبة لا تتجاوز الغرامة بجنيه واحد أو السجن لمدة أسبوع". ثم ما يلبث أن يرصد راسل الآثار المدمرة للمخدرات "في سنة ١٩٢٨ بدأت أكتشف أن شيئاً ما لم نره من قبل يحدث في الأحياء الفقيرة في القاهرة. وخلال وقت قصير وجدنا عناصر جديدة في منطقة بولاق. في الماضي، كان سكان هذا الحي يتكونون في الغالب من عمال الوجه القبلي الذين تركوا بلادهم في الجنوب بحثاً عن عمل في القاهرة، وهم أناس خِشان، لكنهم أقوياء وأصحاء. وبدأنا نجد حطام بشر يرقدون في طرقات بولاق، بوجوه شاحبه أقرب إلى الموت وليسوا من نماذج سكان بولاق، وقد اعترفوا أن تعاطي الهيروين هو ما فعلت فيهم ذلك".

أما عن العقوبات " فحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، لم يكن أحد يرى ضرورة لتشديد العقوبات المقررة في القانون. وفيما بعد ١٩٢٠ صار واضحاً أن المخدر الأبيض انتشر بقوة في جميع ربوع مصر، خاصة المدن. وهنا فقد بدأت دراسة الموقف بجدية شديدة.

لقد كان تعديل التشريعات في مصر أمراً بالغ الصعوبة وغالباً يطول. وفي بداية سنة ١٩٢٩، كان محمد محمود باشا وزير الداخلية ورئيس الوزراء فيما بعد، متوجساً مثلي من التأثير المدمر لتعاطي الهيروين. ومن ثم وبعد محادثات مع رئيس الوزراء، تم قبول طلبي بتشكيل

مكتب مركزي لاستخبارات المخدرات، وكانت مهامه واسعة، وكنت أنا المدير مع حق اختيار رجال الشرطة الصالحين لذلك، مع منحي حق التعامل مع جميع إدارات الحكومة المصرية، وسلطات الأمن العام الأجنبية. مع منحي ميزانية قدرها عشرة آلاف جنيه سنوياً. وكانت سياستي المبدئية أن أتجاهل لوقت ما التجارة المحلية وأركز على منع تدفق آلاف الكيلوجرامات من الهيروين من مصادرها الرئيسية في أوروبا، والتي كانت ترد عن طريق الموانئ. وخلال تلك السنوات المبكرة كنت قريباً من لجنة مكافحة المخدرات في عصبة الأمم من خلال السير مالكولم ديلفينج، الذي ظل لعدة سنوات ممثلاً لحكومة بريطانيا في جميع مؤتمرات مكافحة المخدرات، وكان عضواً مهماً في اللجنة الاستشارية لمكافحة الأفيون وباقي المخدرات في جنيف". وما يذكر أنه بحلول عام ١٩٢٩ تم ترشيح راسل باشا ممثلاً لمصر في اجتماعات اللجنة الاستشارية لمكافحة المخدرات بجنيف .

ثم يصل راسل باشا لطرف الخيط الأخير في مذكراته بالقول: "يتصور البعض أن ٤٤ عاماً وقت طويل من الحياة، لكنني أراها حياة كاملة في حد ذاتها. لقد أتيتُ إلى الخدمة في مصر كشاب عمره ٢٣ عاماً، وتركتها بعد ٤٤ عاماً من العمل، وأستطيع الآن أن أقرر أنني أنفقت حياتي كلها في العمل. إن الحياة كما عشتها بين الفلاحين، أكسبتني معرفة عظيمة، ليس فقط باللهجة العامية، وإنما بالحياة اليومية للناس وعقلياتهم. ولقد صار ذلك مستحيلاً بعد سنوات عندما عملت شرطياً في المدينة. لقد رأيت ضباطاً إنجليز لم يخدموا سوى في المدن، يعانون بشدة غياب تلك المعرفة بالأقاليم، التي تعد ضرورية للغاية لمن يقود الشرطة أو يدير الناس. وخلال سنوات عملي ال ٤٤، خدمت ٣٢ حكومة متعاقبة، وكحكمدار لشرطة القاهرة فقد تلقيت الأوامر من ٢٩ وزير داخلية. إنه من الطبيعي في مدينة كوزموبوليتانية مثل القاهرة، التي يتجاوز عدد سكانها المليون ونصف نسمة، أن يتنوع عمل حكمدار الشرطة فيها في الأسلوب، والجرائم، والقضايا الاجتماعية والسياسية. لقد كانت لدي دائماً الفرصة للعمل الإبداعي أكثر من العمل الروتيني المعتاد. ولا شك أنني حصلت على عدة امتيازات بحكم عملي، كان من بينها: تمثيل مصر بالخارج، والحديث باسمها في عدة مناسبات. إن هذا الكتاب ليس مجرد تسجيل لحياة شرطي، لكنه تسجيل لجانب من تاريخ الناس."

وبالمنتهى يمكن الزعم، أن مذكرات راسل باشا تقدم لنا طبقات من الحياة لا ندركها إلا إذا تتبعنا وجوه الجريمة في المجتمع، والجريمة التي كان يقصدها راسل باشا هي تلك التي تحتمل التأويل الاجتماعي والسياسي. ورغم هذا، يمكن القول، إن كان على مذكرات راسل باشا أن تثبت شيئاً واحداً لا نعرفه فسيكون أن الجريمة في مصر نتاج الاحتلال بشكل أو بآخر، والمثير أن الرجل في أغلب مدوناته لم يتعرض من قريب أو بعيد لدور الاحتلال البريطاني في عدم استقرار الأمن في المحروسة. غير هذا، فالمذكرات عمل مثير لغاية؛ ففوق التفاصيل التي قدمها الرجل عن ميكانيزمات عمل آلة الأمن خلال النصف الأول من القرن العشرين، فإن الرجل دون بالتوازي مع هذا، حياة موظف قضى أكثر من أربعين عاماً في جوف الإدارة المصرية، موظف كان يحمل على الدوام، باعتباره بريطاني وأجنبي، وجهة نظر مغايرة، وأثبت في كثير من الأحيان قدراته في تتبع الواقع المصري في الوجه القبلي والبحري، مما يمثل قيمة مضاعفة لوجهة نظره تلك .



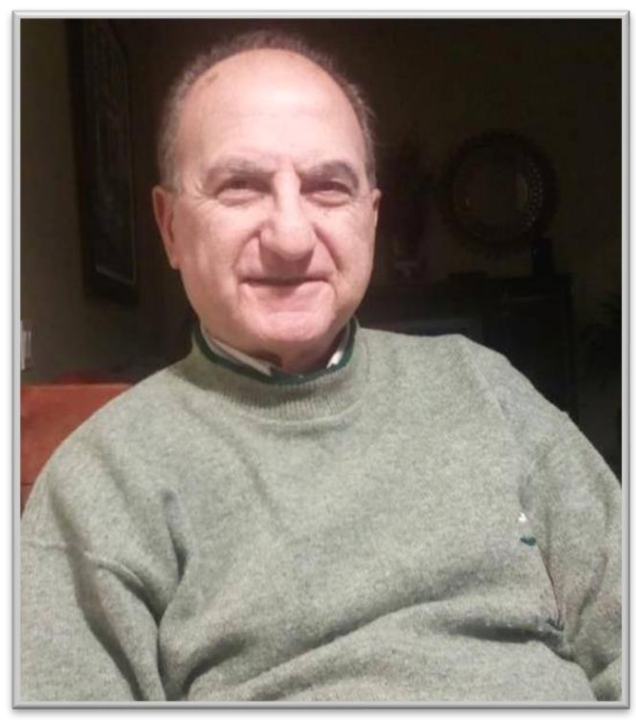
حوار مع الأستاذ كيغام بابازيان والوجود الأرمنى في كندا

أجرى الحوار: عطا درغام

بدأ الوجود الأرمني في كندا في أواخر القرن التاسع عشر، وفي عام ١٩٠٨ أغلقت كندا حدودها في وجه الأرمن، الذين تم تصنيفهم" آسيويين "، وسُمح لبعض اللاجئين والأيتام بالدخول بعد أحداث الإبادة، لكن الجالية لم تتجاوز أربعة آلاف نسمة.

وفي عام ١٩٤٨- بفضل جهود المجلس الكندي الأرمني- تم إلغاء الحظر، وبدأ آلاف الأرمن في الوصول من أوروبا التي مزقتها الحرب. وبعد ذلك مباشرة أدت الثورات السياسية في الشرق الأوسط إلي هجرة آلاف أخري من مصر ولبنان وسوريا وفلسطين وإيران، واقتحم الأرمن مختلف المهن الرائدة، وأصبحت الجالية قوة في الحياة السياسية والثقافية الكندية، وكانت الجالية نابضة بالحياة، وتمثل ذلك في ظهور فنانين مثل : إيجويان، بالإضافة إلي معهد زوريان، ووصل عدد الجالية إلي أكثر من ٦٠ ألف أرمني يقيمون بصورة رئيسية في تورنتو وأوتاوا وكيتشنر، وتخدم ست عشرة كنيسة وأربعة عشر مركزًا ثقافيًا ، وسبع مدارس احتياجات هذه الجالية المتنامية.

وقد التقت "أريك" بالأستاذ كيغام بابازيان للحديث عن الأرمن في كندا، ويُعد الأستاذ كيغام من الشخصيات الأرمنية البارزة في كندا ، وهو في الأصل أرمني مصري مولود بالإسكندرية، عمل في وظائف مختلفة، بدأ عام ١٩٧٣ العمل في وكالة توماس كوك للسفر في كل من المكتب الرئيسي وموقع منظمة الصحة العالمية. وفي كندا ، عمل في رويال بنك، قسم الرواتب وبعد ذلك



في أى دى بى كندا في قسم الرواتب والمصارف والمالية.

تشمل اهتماماته التاريخ الأرمني ، والثقافة الأرمنية ، والإبادة الجماعية للأرمن ، والقضية الأرمنية ، والمقاومة الوطنية الأرمنية ضد الاحتلال التركي، كذلك الموسيقى والفنون والآداب الأرمنية.

متي بدأت الهجرات الأرمنية إلي كندا. ولماذا إلي كندا تحديدا..؟

الكنديون الأرمن مواطنون ومقيمون دائمون في كندا، وينحدرون من أصول أرمنية.

وعلى الرغم من أنها أصغر بكثير من الجالية الأرمنية الأمريكية ، فقد خضع تشكيل كلاهما لمراحل مماثلة بدأت في أواخر القرن التاسع عشر وتوسع تدريجياً في

القرن العشرين الأخير وما بعده. وينحدر معظم الكنديين الأرمن من نسل الأرمن الناجين من الإبادة الجماعية ، حيث أقاموا كنائس ومدارس ومراكز مجتمعية وكذلك النوادي الاجتماعية والرياضية.

هاجر الأرمن الأوائل إلى كندا في ثمانينيات القرن التاسع عشر ،وكان أول أرمني مسجل استقر في كندا هو رجل يدعى "چارابيت نرچاريان" ، جاء إلى بورت هوب ، أونتاريو في عام ١٨٨٧ استقر حوالي ٣٧ أرمنيًا في كندا في عام ١٨٩٢ و ١٠٠ في عام ١٨٩٥، و كان معظم المهاجرين الأرمن الأوائل إلى كندا رجالًا يبحثون عن عمل، ثم بعد المذابح الحميدية في منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر ، بدأت العائلات الأرمنية من الإمبراطورية العثمانية بالاستيطان في كندا.

قبل الإبادة الجماعية للأرمن عام ١٩١٥ ، كان هناك حوالي ١٨٠٠ أرمني يعيشون بالفعل في كندا، كانوا في الغالب من المقاطعات الأرمنية التابعة للإمبراطورية العثمانية وكانوا يعيشون عادة في مناطق حضرية صناعية، وكان تدفق الأرمن إلى كندا محدودًا في حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى ؛لأن الأرمن صُنفوا على أنهم آسيويون. ومع ذلك ، جاء حوالي ١٥٠٠ من الناجين من الإبادة الجماعية - معظمهم من النساء والأطفال - إلى كندا كلاجئين.

ماذا عن اللغة والتعليم بالنسبة للأرمن المقيمين في كندا؟

يتحدث معظم الناطقين بالأرمن في كندا الأرمنية الغربية، بينما تتحدث أقلية الأرمنية الشرقية، تم إنشاء أول مدرسة أرمينية في كندا في سانت كاثرينز في عام ١٩١٩، وفي السبعينيات ، تم إنشاء المدارس الأرمنية التي ترعاها الحكومة في اليوم الأول، و أول مدرسة " الكس مانوكيان" في مونتريال عام ١٩٧٠. واعتبارًا من عام ١٩٩٣، تعمل ست مدارس أرمينية في كندا، وهي تشمل خمس مدارس ابتدائية (ثلاث في مونتريال واثنتان في تورنتو) ومدرسة ثانوية واحدة في مونتريال (مدرسة سورب هاجوب) ومدرسة ثانوية في تورنتو (مدرسة أى آر إس الأرمنية).

وماذا عن الكنائس الأرمنية وعددها في كندا؟

ينتمي معظم الكنديين الأرمن إلى الكنيسة الرسولية الأرمنية، وتنتسب أبرشياتها إما إلى الكرسي الرسولي إيتشميادزين، أو الكرسي الرسولي في كيليكيا.

تضم الأبرشية الأرمنية والمقدسة (٢٠) كنيسة في المجموع، وتحتوي أونتاريو على النصف (١٠) ، تليها مقاطعة كيبيك (٤)،وكولومبيا البريطانية (٢)، وألبرتا (٢) ومانيتوبا (١) والأقاليم الشمالية الغربية) (١).

أقلية من الكنديين الأرمن هم بروتستانت وكاثوليك.

للكنيسة الأرمنية الكاثوليكية كنيستان: نوتردام دي نارج في سان لوران (مونتريال ، ١٩٨٣) وسانت غريغوري المنور في تورنتو (١٩٩٣).

تعمل الكنيستان في إطار أبرشية سيدة نارج للأرمن الكاثوليك في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. ويقيم ما يصل إلى ١٠.٠٠٠ أرمني كاثوليكي في كندا ، مع أكبر جالية في مونتريال.

توجد أربع كنائس أرمينية بروتستانتية في كندا ، واثنتان في مونتريال وواحدة في تورنتو وكامبريدج. ينتمي أحدهما في مونتريال والكنيسة في تورنتو إلى الكنيسة الإنجيلية الأرمنية ، بينما يتبع الاثنان الآخران الكنيسة الكندية المتحدة لكنهما "مستقلتان ولديهما خدمات باللغة الأرمنية العامية".

هل هناك منظمات وأحزاب أرمنية في كندا.. وكم عددها؟

هناك عدد من المنظمات الأرمنية لها فروع في كندا ، بما في ذلك الاتحاد الخيري العام الأرمني، الذي له فرعان في مونتريال (تأسس عام ١٩٥٧) وتورنتو.

المنظمات الأرمنية الأخرى ذات الوجود الراسخ في كندا هي "جمعية الإغاثة الأرمنية" بعشرة فروع ، وجمعية "الأرمنية التربوية والثقافية" (فرعان ، ٥ وحدات) ، ونادي "هومنتمن ات مان" الرياضي (ستة فروع ووحدات)، و يمتلك صندوق أرمينيا أيضًا فرعين (في مونتريال وتورنتو). وكذا تأسس معهد "زوريان "الكندي ، وهو مركز للبحث والتوثيق الأرمني المعاصر ، في عام ١٩٨٤.

وعن الأحزاب الأرمنية ، فهناك الأحزاب السياسية التقليدية الثلاثة لأرمن الشتات موجودة في كندا، والاتحاد الثوري الأرمني هو الأكبر والأكثر نفوذاً مع تسعة فروع، وتشمل دوائرها النشطة جناح الشباب (اتحاد الشباب الأرمني) واللجنة الوطنية الأرمنية.

كيف جاء الاعتراف الكندي الإبادة الجماعية للأرمن..؟

في عام ٢٠٠٢ ، أصدر مجلس الشيوخ الكندي قرارًا (١-٣٩) برعاية" شيرلي ميهو" دعا حكومة كندا إلى "الاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن ،وإدانة أي محاولة لإنكار أو تشويه حقيقة تاريخية باعتبارها أي شيء أقل من الإبادة الجماعية ، وهي جريمة ضد الإنسانية ، وتعيين يوم ٢٤ أبريل من كل عام فيما بعد في جميع أنحاء كندا يومًا لإحياء ذكرى ١,٥ مليون أرمني وقعوا ضحية أول إبادة جماعية في القرن العشرين ". ومع ذلك ، لم يكن الأمر كذلك حتى ٢١ أبريل ٢٠٠٤ ، عندما اعترفت كندا رسميًا بالإبادة الجماعية للأرمن.

في ذلك اليوم ، تبنى مجلس العموم قرارًا "شديد اللهجة" جاء فيه: " أن هذا المجلس يعترف بالإبادة الجماعية للأرمن عام ١٩١٥ ،ويُدين هذا العمل باعتباره جريمة ضد الإنسانية". تم التصويت عليه بأغلبية ١٥٣ صوتا مقابل ٦٨ ضده.

منذ عام ٢٠٠٦ ، أصدر رئيس الوزراء "ستيفن هاربر" بيانات سنوية تشير صراحة إلى الإبادة الجماعية للأرمن. استمر هذا التقليد من قبل خليفته ،"جاستن ترودو."

في ٢٤ أبريل ٢٠١٥ ، في الذكرى المئوية للإبادة الجماعية للأرمن ، أصدر "مجلس العموم الكندي" بالإجماع قرارًا حدد شهر أبريل شهرًا لإحياء ذكرى الإبادة الجماعية وإدانتها ومنعها و ٢٤ أبريل يومًا لإحياء ذكرى الإبادة الجماعية للأرمن.

كما أكد البرلمان دعمه لقرار الاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن الذي تم تبنيه في ٢١ أبريل ٢٠٠٤.

ووفقًا للمعهد الوطني الأرمني ، هناك ستة نصب تذكارية للإبادة الجماعية للأرمن في كندا ، بما في ذلك اثنان في تورنتو ، وواحد في مونتريال ، وسانت كاثرينز ، وماركهام ، وكامبريدج.

ما الجهود التي يقوم بها الأرمن الكنديون من أجل القضية الأرمنية..؟

حاربنا من أجل الاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن، وكافحنا من أجل القضية الأرمنية بمظاهرات في كندا وبقية العالم قبل عام ١٩٦٥، وخاصة بعده عندما كانت أرمينيا تحت الحكم السوفيتي ، وكان المهجر المتحدث باسم حقوقنا.

ما مظاهر إحياء ذكري الإبادة الأرمنية التي يقوم بها الأرمن الكنديون. وكيف يكون هذا الإحياء....؟

في ٢٤ أبريل من كل عام ، تجتمع الجالية الأرمنية في كندا في أوتاوا ، عاصمة كندا ، لإحياء ذكرى ضحايا الإبادة الجماعية للأرمن في ٢٤ أبريل ١٩١٥ التي ارتكبتها تركيا ، بالسفر بالآلاف من جميع أنحاء كندا. وبعد مراسم الذكرى يبدأ الأرمن في التظاهر في الشوارع والسير باتجاه السفارة التركية ،للاحتجاج والمطالبة بالعدالة.

كيف اندمج الأرمن في المجتمع الكندي،وفي نفس الوقت حافظوا علي هويتهم وثقافتهم الأرمنية ..؟

فيما يتعلق بالاندماج ، يجب على الوافدين الجدد إلى كندا ألا يعزلوا أنفسهم ، لكنهم بحاجة إلى المشاركة في حياة المجتمعات الجديدة التي يعيشون معها.بالنسبة لأرمن الشتات ، فإن هذه المسألة مختلفة قليلاً وحساسة ؛لأن أجدادنا تم إجلاؤهم بالقوة من وطنهم الأصلي ونزلوا في أراض أجنبية ،وإن الرغبة في الحفاظ على الذات ،والرغبة في الحفاظ على هويتنا الوطنية ولغتنا وثقافتنا أمر بالغ الأهمية ومهم للغاية. والاندماج الكامل يشبه قدرًا كبيرًا إلى وعاء كبير حيث يدخل الجميع ويخرجون شخصًا متغيرًا بهوية مختلفة وقيم مختلفة. هذا ما كان يخشاه آباؤنا.

ماذا عن الشـــخصـــيات الأرمنية البارزة في كندا..؟ وما أشهر المجالات التي برعوا فيها..؟

برز الكنـديون الأرمن إلى مكـانـة بارزة في العـديـد من المجالات مثل: في السياسة :كان هناك اثنان من الكنديين الأرمن عضوين في البرلمان: "سركيس أسدوريان" المولود في ســـوريا في ١٩٩٣-٢٠٠٤ و"أندريه آرثر" في ٢٠٠٦-٢٠١١. و كان ريموند سيتلاكوي عضوًا في مجلس الشيوخ في الفترة ٢٠٠٠-٢٠٠٣، و آن كـافوكيـان المولودة في مصر، مفوضة المعلومات والخصوصية في أونتاريو لثلاث فـترات في ١٩٩٧-٢٠١٤ ، وتم انـتـخـاب "أريس بابيكيان" لعضـوية الجمعية التشـريعية في أونتاريو في عام ٢٠١٨ ، وكان لمجلس مدينة مونتريال العديد من الأعضاء الأرمن: "نوشـــيج إلويان" المولود في حلب في ١٩٩٤-٢٠٠٩؛ "هاروت شـــيتيليان" لبناني المولد في ٢٠٠٩-٢٠١٧ ؛ لبناني المولد "حســـميك بليلي فاســـليان" ، چاك تشـادرچيان في ١٩٩٤-١٩٩٨ ، "ماري ديروس (منذ ١٩٩٨)

وفي الفنون :يُعد "يوســـف كرش" ، العثماني المولد المقيم في أوتاوا ، المصـور الرائد للصـور الشـخصـية في القرن العشرين ،ووُصـف المخرج السينمائي المصري المولد "أتوم إيجويان" بأنـه "المخرج الكنـدي الأكثر إنجازًا في جيلـه". زوجته "أرســـينيه خانچيان" ممثلة مولودة في بيروت. رافي (كـافوكيـان) ، والمغني المعروف بموســـيقى الأطفـال ، أطلق عليه لقب " الفنان الأكثر شعبية في سوق موسيقى الأطفـال المزدهر" في عـام ١٩٨٨ ، و"أنـدريا مـارتن" ، المولودة لأبوين أرمينيين في الولايات المتحدة ، وهي ممثلة كوميدية وممثلة مشـــهورة. وكان "بيتر أونديچيان" مدير الموســـيقى في أوركســـترا تورنتو الســـيمفونية في الفترة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٨، و "رافي أرمينيان" ، المولود في مصر، مدير معهد الموســـيقى في كيبيك في مونتريال بين عامي ٢٠٠٨ و ٢٠١١،و حازت الســـوبرانو الأوبرالية اللبنانية المولـد "إيزابيـل بيرقـدريان" على الإشـــادة لأدوارهـا في موتسـارت،و"هراج ڤارتانيان" الســوري المولد هو المؤســـس المشارك ورئيس تحرير مجلة حيبالرچيك للفنون على الإنترنت.

وفي المجال الأكاديمي :وُلد العالم الطبي "چون بسماچيان" في تركيا وكان رئيسًا لقسم التشريح في جامعة كوينز. وقد أدى عمله في التخطيط الكهربائي للعضـــلات إلى "تقدم كبير في علم إعـادة التـأهيل"،و يشـــتهر "أچوب چاك هاســيكيان" المولود في إســطنبول ،و"رزميك بانوســيان" المولود في بيروت بعملهما في الدراسـات الأرمنية،و "أرمين يلنيزيان" خبير اقتصادي تقدمي بارز.

كم كان هناك "أريس الكســـانيان" المولود في تركيا أحد مســـتوردي الســـجاد الرائدين في كندا بين عشـــرينيات وســـتينيات القرن الماضـــي،و توجت "أليس بانيكيان" البلغـاريـة المولـد،وتوجـت ملكـة جمـال الكون الكنـديـة في عام ٢٠٠٨، وكانت ضـمن العشـرة الأوائل في ملكة جمال الكون لعام ٢٠٠٦. ولدت "ناتاليا خودچاريان" في روسيا وهي بطلة الشطرنج الكندية للسيدات أربع مرات (٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧ ، ٢٠١١ ، ٢٠١٢). "أنـيـتـا ســـركيســـيان" ، ناقد إعلامي نســـوي ، كانت في قلب الجدل حول جيمرجيت.

هل للأرمن أنشطة ثقافية وفنية في كندا...؟

لدى الجالية الأرمنية في كندا أنشـطة ثقافية مختلفة على مدار العام، ويشـــمل مهرجان الرمان الســـينمائي ، واليوم الثقافي لجالية أرمنية معينة في الشـتات ، والمهرجان الصـيفي للأغاني الأرمنيـة ، والعـديـد من الليـالي الثقـافيـة والأدبيـة ، وحفلات الجوقة ، وحفلات التخرج من المدارس الأرمنية، ومهرجانات الطعام الأرمني والشـــرق أوســـطية ، والســـياحة إلى أرمينيا، عروض مســـرحية ، وكذا معرض الكريســـماس الســـنوي ، ورحلة بحرية لعموم الأرمن إلى جزر الكاريبي ،وعـدة نزهـات صـــيفية إلى المنتزهات والحدائق تقدم الطعام والموســـيقى الأرمنية.

وبالنسـبة للصـحافة ووسـائل الإعلام،تُبث البرامج التلفزيونية الأرمنية على المحطات التلفزيونية الكندية في كل من تورونتو ومونتريال، وتوجد العديد من الصـحف الأسـبوعية والشـهرية الأرمنية. كما يشـمل نشـر الكتب والمجلات باللغة الأرمنية ، بالإضـــافة إلي انه هناك المجموعة المصـرية الأرمنية ،وتضـم المجموعـة أكثر من ٨٠ عضـــوًا جميعهم من مصـــر، وتنظم المجموعة اجتماعات ونزهات أســبوعية لأعضـــائها

وقد استقبلت الجالية الأرمنية المصرية في كندا الأسقف " أشوت مناتساكانيان" ، رئيس أبرشية مصر وزار مونتريال وتورنتو، وأقيم غداء وبرنامج خاص في قاعة ماغاروس أرتينيان، وتم عمل حفل للجالية الأرمنية المصرية بدأ بعزف النشيد الوطني بـــ الكندي ، الأرمني ، والمصري ، بحضور ١٦٠ أرمنيًا مصريًا.

مع عرض بالصوت والصورة لتاريخ الأرمن المصريين، وعرض شرائح مع صور الإسكندرية والقاهرة ،وكذلك إيقاع "الطبلة" المصرية الحية مع الموسيقى العربية "يا مصطفى ، طلعت دكات وعمرو دياب تملي معاك."

ما أهم الأعياد التي يحتفل بها أرمن كندا في المهجر..؟

الأعياد التي يحتفل بها أرمن كندا في المهجر هي :عيد الميلاد في ٦ يناير من كل عام،و ذكرى الإبادة الجماعية للأرمن في ٢٤ أبريل ١٩١٥ من كل عام، واستقلال أرمينيا الأول في ٢٨ مايو ١٩١٨ من كل عام ، وذكري معركة أفارايو ضد بلاد فارس في عام ٤٥١ ق.م، واختراع الأبجدية الأرمنية عام ٤٠٥ ق.م، واستقلال أرمينيا الثاني في ٢١ سبتمبر ١٩٩١ من كل عام ، وعيد الفصح المقدس في أبريل من كل عام.



كيف استفاد الأرمن من التكنولوجيا في توظيفها لعرض قضيتهم علي المجتمع الدولي..؟

استخدمت الجالية الأرمنية في كندا التكنولوجيا للترويج للقضية الأرمنية من خلال استخدام أدوات وسائل التواصل الاجتماعي لعقد المؤتمرات عبر الفيديو والتواصل مع مسؤولي الحكومة الكندية وأعضاء البرلمان، ويتم إرسال الالتماسات الجماعية إلى مسؤولي المدينة ووزراء الحكومة لحثهم على الوقوف وراء أرمينيا ضد أذربيجان وتركيا.

هل اكتفي الأرمن الكنديون بالاعتراف الكندي فقط أم هناك استمرار الجهود في المزيد من الاعترافات والضغط علي تركيا للاعتراف بالإبادة..؟

لم يكتف الأرمن الكنديون بالاعتراف الكندي ،بل هناك استمرار الجهود في المزيد من الاعترافات والضغط علي تركيا للاعتراف بالإبادة

ما أثر الاعتراف الكندي بالإبادة الأرمنية علي المجتمع الأرمني في كندا..؟

الرضا والامتنان و في الشهر المقبل ، ستفتتح الحكومة الكندية سفارة في يريفان بأرمينيا.

متي يستيقظ الضمير العالمي من سباته العميق ليشعر بأن هناك أرمن لهم حقوق كي يعترف بها بعد غياب كل هذه السنوات..؟

لن يستيقظ الضمير العالمي من سباته العميق ليشعر بأن هناك أرمن لهم حقوق لأن سياستهم تقوم على المصالح وليس على المبادئ .

هل هناك تواصل بين الأرمن الكنديين وأرمن الشتات في بلدان أخري..ما مظاهر هذا التواصل.؟

هناك تواصل بين الأرمن الكنديين و أرمن الشتات في بلدان أخري من خلال مكاتب القضية الأرمنية ، وكذلك من خلال المستويات التنظيمية والأحزاب السياسية الأرمنية.

ما السمات المشتركة التي تجمع بين الأرمن في كندا.....؟

السمات المشتركة التي تجمع بين الأرمن في كندا هي الجهود المشتركة للاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن وتعويضات وعودة ما لا يقل عن ست مقاطعات غربية بالإضافة إلى جبل آرارات.

ما موقف الأرمن الكنديين من الحرب في آرتساخ.....؟

يؤيد غالبية الأرمن الكنديين آرتساخ وحقها في تقرير المصير والاستقلال. فبعد العدوان الأذربيجاني عام ٢٠٢٠ بمساعدة تركيا والإرهابيين السوريين ، الذين نقلتهم تركيا ، و جمعت الجالية الأرمنية مبالغ كبيرة لمساعدة العائلات النازحة والجرحى ،كما تم جمع أموال لعائلات القتلى والجرحى من الجنود لإعادة تأهيلهم.

الدور السياسي والحضاري للأرمن في مصر خلال العصر الفاطمي (رسالة ماجستير)



عرض : أسماء محمد السنهوري

الأرمن هم سكان المنطقة المسماه بأرمينيا ، ويدل اسم أرمينيا على أوسط البقاع وأكثرها ارتفاعًا من المنطقة الجبلية الواقعة في غرب آسيا، وتقع أرمينيا جنوب القوقاز، ولقد كان للأرمن العديد من الهجرات إلى البلاد الإسلامية. أما عن هجرتهم إلى مصر فتعود لعصر الأسرات القديمة، ثم تزايدت أعدادهم خلال الحكم البيزنطي لمصر، ولكن بدءوا يظهرون نسبيًا منذ الفتح الاسلامى لمصر، حيث اشترك بعضهم في الفتح مثل: القائد وردان مولى عمرو بن العاص ، وتولى بعضهم إمارة مصر خلال الحكم العباسي مثل : الأمير على بن يحيي الذي تولى لاية مصر مرتين(٢٢٦-٢٢٨هـ/ ٨٤٠-٨٤م)، و(٢٣٥هـ/٨٤٩م). ولكن بعد ضعف الخلافة العباسية ظهرت الدويلات المستقلة ؛ فأصبحت الفرصة سانحة أمام الفاطميين لتأسيس خلافتهم في افريقية سنة ٢٩٧هـ /٩٠٨ م على يد عبيد الله المهدي ، وعندما تولى المعز لدين الله الحكم وضع هدف تحول دولته إلى الشرق .

وبالفعل تحول الفاطميون إلى مصر ، واستقروا فيها ما يزيد عن المئتى عام (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م)؛ أى أن الجزء الأكبر من حياتهم كان في مصر ، لذلك اقترن اسمها دائمًا بمصر رغم قيامها في المغرب .




كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية
الدراسات العليا

الدور السياسي والحضاري للأرمن في مصر خلال العصر الفاطمي
(466- 567هـ / 1073- 1171م)

The Political and Civilization role of Armenians in Egypt

During the Fatimid era

(466 – 567 AH / 1073 – 1171 AD)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب بنظام الساعات المعتمدة
من قسم التاريخ
(شعبة التاريخ الإسلامي)

مقدمة من الباحثة

أسماء محمد شعبان محمود السنهوري

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور
إبراهيم محمد علي مرجونة
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية رئيس قسم التاريخ
كلية الآداب – جامعة دمنهور

الأستاذ الدكتور
عفيفي محمود إبراهيم
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة بنها

الأستاذ الدكتور
تيسير محمد محمد شادى
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب – جامعة دمنهور
1443هـ / 2021م

ولقد كانت الدولة الفاطمية في شطرها الأول في غاية القوة والازدهار ، فكان الخليفة هو صاحب السلطة الدينية والدنيوية ، وكان للأرمن تواجد في مصر خلال ذلك العصر حيث يذكر أبو المكارم أن أحد مقدمي الأرمن جدد عمارة بيعة القديس مارى جرجس بمنطقة المقس، ثم تحولت إلى مسجد في خلافة الحاكم بآمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢١م) ، وإذا كان للأرمن مقدمون في ذلك الوقت، فذلك يعنى أنه كان لهم كيانهم الاجتماعي والديني في ذلك الوقت، ولكن بداية النفوذ الحقيقي للأرمن في مصر كان بمجئ بدر الجمالى إلى مصر.

تحولت الدولة الفاطمية بعد ذلك إلى دولة يتصارع فيها الجند من مختلف الجنسيات، كما عصفت بها المجاعات والأوبئة ،وأبرز هذه المجاعات ما يعرف بـ "الشدة المستنصرية"، التي استمرت سبع سنوات ، عجز خلالهم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي القضاء على الفتن والاضطرابات داخل البلاد ؛ فاستنجد الخليفة المستنصر بوالي عكا بدر الجمالي الأرمني الذي استطاع بحنكته وحسن تدبيره السيطرة على الأوضاع السيئة في البلاد ، وقد استعان الجمالي ببني جلدته من الأرمن ؛ فأصبح هؤلاء أصحاب السيطرة الكاملة على الدولة ، لذلك سُمي هذا العصر بعصر "الوزراء العظام" الذين كان أغلبهم من الأرمن ، فكان ذلك الوقت "عصر الأرمن الذهبي"، وللدلالة على كثرة الأرمن في مصر في ذلك الوقت ما ذكره المقريزي، فيقول عن بدر الجمالي إنه " أقام دولة الأرمن بديار مصر"، وجعل الجمالي حي الحسينية شمال القاهرة سكنًا للأرمن، وخصص لهم كنيسة بحي الخندق شمال غرب القاهرة ليُقيموا فيها صلواتهم.

ومنذ دخول بدر الجمالي مصر أصبح للأرمن دور مباشر وأثر واضح في المجالات السياسية والحضارية ؛ فسيطروا على الخليفة . فكان يتم تعيين الخلفاء من قبلهم في كثير من الأحيان، مثلما تدخل الأفضل بن بدر الجمالي في تعيين كل من المستعلي والآمر بأحكام الله بعكس الطبيعي، وهو أن يتم تعيين الوزراء من قبل الخليفة. وعن علاقة الخلفاء والوزراء فإنها كانت علاقة تربص لقضاء كلٍّ منهم على الآخر، فالخليفة يحاول أن يسترد سلطته عن طريق قتل الوزير ، والعكس الوزير يحاول أن يحافظ على هذه السلطة بتدبير قتل الخليفة أيضًا .

أما عن الدعوة الفاطمية، فإن الأرمن تلاعبوا بها، ومنهم من عمل على إضعافها حيث كان الأرمن السبب الأول في انقسام الدعوة الإسماعيلية إلى نزارية ومستعلية ، وكان هذا هو الانقسام الأول في الدولة، كما أنهم استأثروا بمنصبي قاضي القضاة وداعي الدعاة .

أيضا ، تنازع الأرمن فيما بينهم من أجل منصب الوزارة، ولم تكن عملية انتقال منصب الوزارة تمر بسهولة، بل كان البعض يدبر قتل الآخر للوصول إلى منصب الوزارة ، ويوضح المؤرخون أن هناك سبعة من الأرمن تولوا منصب الوزارة وهم : بدر الجمالي الأرمني (٤٦٦ – ٤٨٧هـ/ ١٠٧٣ – ١٠٩٤م)، والأفضل بن بدر الجمالي (٤٨٧ – ٥١٥ هـ/ ١٠٩٤ -١١٢٢م)، والأكمل بن الأفضل(٥٢٤-٥٢٦ هـ/ ١١٣٠-١١٣٢)، ويانس الأرمني(٥٢٦هـ/ ١١٣٢م)، وأبو المظفر بهرام(٥٢٩-٥٣١هـ / ١١٣٥-١١٣٧م)، وطلائع بن رُزِّيك(٥٤٩-٥٥٦هـ / ١١٥٤-١١٦١م)، والعادل رُزِّيك بن طلائع (٥٥٦-٥٥٨ هـ/ ١١٦١-١١٦٢م) ،ولكن هناك غيرهم من الأرمن الذين حاولوا الوصول إلى منصب الوزارة ؛ فمنهم من تولى بالفعل حتى لو كانت مدة وزارته لا تتخطى يومًا أو بعض يوم، ومنهم لاوون الذي يُذكر أنه تولى الوزارة ،ولكن لم ترض به طوائف الجند ، فعيَّن المستنصر الأفضل بن بدر الجمالي، ومنهم أيضًا هزار الملوك الذي عيَّنه الحافظ وزيرًاله،ولكن رفضه الجند أيضًا، ويُذكر عن شرف المعالي ابن الأفضل أنه عُيِّن كوزير ولكنه أُغتيل في سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م، إلى جانب بعض الأرمن الذين حاولوا الوصول ولكن لم يحالفهم الحظ.

لقد وصل الأرمن إلى أعلى المناصب الإدارية في الدولة ، مثل : منصب الوزير ، ونائب الوزير، وصاحب الباب ، وناظر الكسوة. كما كان منهم من تولى أقاليم مهمة مثل: قوص والصعيد والإسكندرية .

وانطلاقًا من سيطرة الأرمن على الدولة الفاطمية، وتحول النفوذ والسلطة من الخلفاء إلى الوزراء؛ أصبح للأرمن دور مباشر في العلاقات الخارجية في العصر الفاطمي، حيث كانت تسير تلك العلاقات وفقًا لهم، فحاولوا السيطرة على بلاد الشام؛ ليستعيدوا نفوذ الفاطميين في الشام، ولتأمين حدود مصر الشرقية ضد الروم والسلاجقة،

وأرسلوا من أجل ذلك الحملات العسكرية، ثم ظهر الخطر الصليبي في بلاد الشام، فكان للأرمن دور كبير في محاربة الصليبيين؛ وخاصة دور كلٍّ من الأفضل بن بدر الجمالي، والصالح طلائع بن رُزِّيْك، أيضًا كان لهم علاقات مع اليمن لتثبيت الدعوة في اليمن، وذلك لأن الدعاة أصبحوا نوابًا عنهم، فألزم الخليفة الفاطمي الدعاة في اليمن، على أن يبذلوا الطاعة والولاء للوزراء الأرمن. وأما عن علاقتهم مع بلاد الحجاز؛ فيعود إلى مركزها الديني الذي دفع الخلافتين العباسية والفاطمية إلى التنافس لبسط نفوذهما عليها.

وعن الدور الحضاري فقد اهتموا بالزراعة والصناعة والتجارة، وذلك بعد ما مرت به البلاد من أزمات اقتصادية ، وكان لهم دور في الحياة العلمية والأدبية ، وذلك نابع من حبهم للعلم والأدب ؛ فقرَّبوا إليهم أهل العلم وحظوا عندهم بمكانة عالية ،وكان منهم الشعراء أيضا مثل: الأفضل بن بدر الجمالي والصالح طلائع بن رزيك .

ولا نتغافل عن إسهاماتهم في العمارة التي بعضها موجود حتى الآن ، كسور القاهرة وأبوابها: النصر والفتوح وزويلة. فقد اهتم الأرمن ببناء المنشات العمرانية المختلفة ، فنالت أنواع العمارة المختلفة اهتمامهم، فبالنسبة للعمارة المدنية فقد بنوا الدور المختلفة والمتنزهات والبساتين التي تدل على ثراء الأرمن. أما عن العمارة الدينية فنجد أن لهم رصيدًا كبيرًا فيها ،يتنوع ما بين مساجد ومشاهد وكنائس. أما عن العمارة الحربية فقد أعاد بدر الجمالي بناء سور القاهرة أما عن العمارة الاجتماعية فقد تنوعت ما بين حارات وحمامات .

ولذلك كان لابد من دراسة هذا الدور المؤثر للأرمن في المجالات المختلفة وكيفية سيطرتهم على الدولة الفاطمية، ومن هنا جاء هذا العمل وهو الدور السياسي والحضاري للأرمن في مصر خلال العصر الفاطمي (٤٦٦ – ٥٦٧هـ/١٠٧٣-١١٧١م).

وللإلمام بجوانب هذا العمل فقد قُسم الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وقائمة ملاحق وذُيِّلت بقائمة المصادر والمراجع. وقد اشتملت المقدمة على أهمية الموضوع والفترة الزمنية للدراسة وصعوبات الدراسة والمنهج المتبع والدراسات السابقة وتقسيم الدراسة ، ثم عرض أهم مصادر ومراجع الدراسة.

و خُصص التمهيد للحديث عن أمور عدة وهى جغرافية بلاد الأرمن وأثرها في تكوين الشخصية الأرمنية ،وأصل الأرمن والعلاقات العربية الأرمنية قديمًا وأرمينيا تحت الحكم الاسلامى والهجرات الأرمنية وأسبابها . أما الفصل الأول: فجاء بعنوان الظهور السياسي المؤثر للأرمن في العهد المستنصري (٤٦٦-٤٨٧هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٤م)، وتعرض لعدة نقاط تمثلت في: الشدة المستنصرية، و بدر الجمالي الأرمنى وتحسين أحوال البلاد، فيه وأصله ونشأته ، وأعماله في بلاد الشام، ثم مجيئه إلى مصر وقضاءه على الفتن والاضطرابات، ووزارة بدر الجمالي، ثم توليته الوزارة والوصية لابنه بتولي الوزارة، ثم تناول شخصية بدر الجمالي ووفاته، كما تناول ظاهرة تولى أبناء الوزراء الوزارة.

أما الفصل الثاني: فجاء بعنوان الدور السياسي والإدارى للأرمن في العصر الفاطمي، وتناول دور الأرمن في مجال الحكم والإدارة ،وسيطرة الأرمن على الخلفاء الفاطميين ، وسيطرتهم على منصب الوزارة وألقابهم العديدة ودلالتها السياسية ، ثم توليهم المناصب الإدارية المهمة في الدولة ودورهم في الجيش الفاطمي ، ومحاولات القضاء على نفوذ الأرمن .

والفصل الثالث: بعنوان العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في ظل الأرمن، وتناول العلاقات مع بلاد الشام ، ودورهم في التصدي للحروب الصليبية ثم علاقتهم مع اليمن والحجاز وبلاد النوبة. والفصل الرابع : جاء بعنوان الدور الحضاري والثقافي للأرمن: وتتناول دور الأرمن الاقتصادي من حيث اهتمامهم بالزراعة والصناعة والتجارة ،ثم الحياة الاجتماعية في ظل الأرمن والحياة العلمية والأدبية من حيث تشجعيهم للشعراء ورعايتهم للعلماء ،ثم إسهاماتهم في العمارة .

وتم تذييل الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث بالإضافة إلى بعض التوصيات، ومجموعة من الملاحق والخرائط والصور ، ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة .

وكشفت الدراسة عن الأثر البالغ لقسوة البيئة الأرمنية في تكوين الشخصية الأرمنية ،حيث جعلت الأرمن أناسًا يتحملون الصعاب، كما أظهرت قدم العلاقات العربية الأرمنية قدم الزمان ،وليست حديثة كما يعتقد البعض ؛ فهي تمتد من القرن الأول قبل الميلاد ، كما أن هذه العلاقات مستمرة حتى وقتنا الحالي، كذا اتسمت العلاقات بين الأرمن والمسلمين بعد الفتح الاسلامى لأرمينيا بمعاملة المسلمين لهم معاملة حسنة خاصة في العصر الراشدي ، والدليل على ذلك إبرام المعاهدات مع الأرمن لإقامة علاقات طيبة معهم ،ولكنها تأرجحت ما بين السلام والتدهور في العصرين الأموى والعباسي.

واستغل الأرمن الشدة المستنصرية وسوء الأحوال الداخلية في مصر للاستيلاء على السلطة في مصر بسبب استغاثة المستنصر ببدر الجمالي الأرمني والي عكا؛ فاستطاع الجمالي أن يُسيطر على الأوضاع السيئة التي مرت بها البلاد؛ بفضل ذكائه، وبخبرته الإدارية والسياسية، ولكن محاولات بدر الجمالي لإصلاح أحوال البلاد لم تكن مجرد عبقرية منه، بل كانت جزءًا لا يتجزأ من خططه لاحتكار السلطة في مصر. كما أصبح أبناء الوزراء يتولون الوزارة، بل الآباء يوصون لأولادهم لتولي هذا المنصب من بعدهم، فجعلوها ميراثًا يورث للأبناء، وذلك حدث مرتين في عهد كل من بدر الجمالي الارمنى والصالح طلائع بن رزيك.

ووصل النفوذ الأرمني إلي أصبحت الدعوة الإسماعيلية ألعوبة في أيدى الوزراء؛ مثلها مثل الخلافة، فتلَّعبوا بها مثلما أرادوا، فحدثت انقسامات في الدعوة الإسماعيلية، كما حاول بعضهم إضعاف الدعوة الإسماعيلية مثل الوزير أحمد بن الأفضل، وكانت السمة المميزة لهذا العصر هي سيطرة الأرمن على الخلفاء؛ فوصلت هذه السيطرة إلى أن تعيين الخليفة كان يتم من خلال الوزير الأرمني في كثير من الأحيان، كما أن علاقة الخلفاء والوزراء في ذلك الوقت كانت علاقة تربص .

تمتع الأرمن بمكانة عظيمة وسلطة واسعة حتي أصبح للوزراء الأرمن ألقاب عديدة، لم تكن موجودة من قبل، وهذا يدل على مكانة هؤلاء وسلطتهم الواسعة في الدولة، كما تنازع الأرمن فيما بينهم من أجل منصب الوزارة، ولم تكن عملية انتقال منصب الوزارة تمر بسهولة.

استمرت العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في عصر الأرمن؛ فهم كانوا المتحكمين في السياسة الخارجية للبلاد، وكان لهم دور مؤثر في التواصل مع القوى المحيطة، ومحاولة فرض السيطرة على بعضها، كما كان للأرمن دور حضاري عظيم لا يقل أهمية عن الدور السياسي لهم، فقد اهتموا بالمجالات الاقتصادية، واهتموا بالعلماء والأدباء، وذلك نابع من حبهم الشديد للعلم والأدب، كما أنهم اهتموا ببناء المنشآت العمرانية المختلفة بعضها موجود حتى الآن يشهد على عظمة هذا الدور.

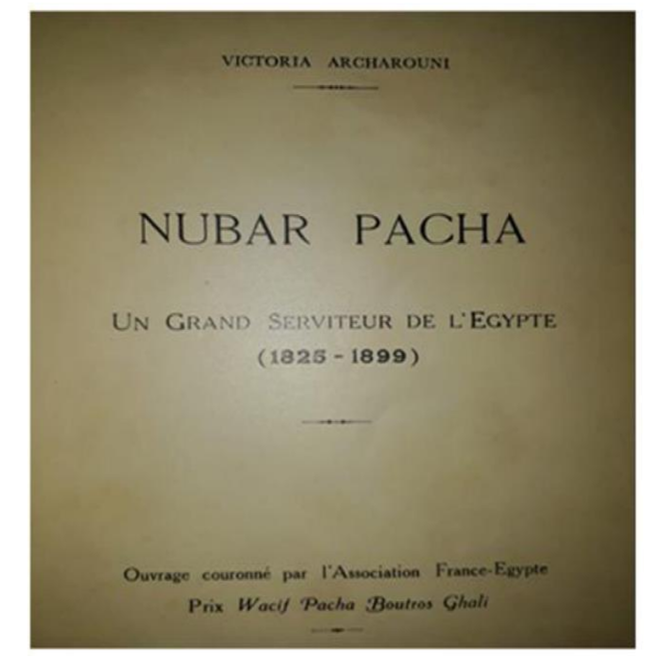
نوبار باشا خادم مصر الكبير (١٨٢٥ – ١٨٩٩م)
(المسكوت عنه فى مذكرات نوبار) (٢-٤)
للسيدة / فيكتوريا أرشاروني



ترجمة : جارو طبقيان

الفصل الواحد والعشرين : عزل إسماعيل باشا – تولية توفيق باشا– السيادة الإنجليزية الفرنسية المشتركة– قانون التصفية– المأساة الثورية– الاحتلال العسكري البريطاني.

كان يوم ٢٦ يونيو ١٨٧٩، وكالعادة كانت غرفة انتظار إسماعيل باشا تعج بالزوار وأصحاب طلبات الالتماس؛ كان يسود المكان حراك مستمر لكن في حدود الاحترام. أحد الخدم يأت بخطاب يحمله علي صينية ويسلمها لـ ذكي باشا. يمسك مدير المراسم بالخطاب ثم يلقي به في الحال علي مكتبه كما لو كان نارها قد أحرق اصابعه. يميل تونينو بك مساعدة علي الظرف ويعود في الحال إلي الوراء. كانت العيون كلها تتفحص وجوه الموظفين الشاحبة وهم يتوجهان للانزواء خلف فتحة احدى النوافذ لتبادل الرأي. أحد الزوار يقترب بدوره من المكتب ويقرأ بصوت خافت عبارة:" إلي فخامة إسماعيل باشا خديوي مصر سابقاً." حالة الحراك التي كانت تسود منذ لحظات تتبدل لحل بدل منها الحسرة؛ يخيم علي الصالون صمت حزين وثقيل مغلف بالقلق. يسمع فجأة وقع خطوات في الردهة ثم يرتسم داخل زجاج الباب ملامح ظلال صورة شريف باشا. يقترب مدير المراسم دون التفوه بكلمة من المكتب المغطى بمفرش من القطيفة القرمزية التي توجد


VICTORIA ARCHAROUNI

NUBAR PACHA

UN GRAND SERVITEUR DE L'EGYPTE
(1825 - 1899)

Ouvrage couronné par l'Association France-Egypte
Prix Wacif Pacha Boutros Ghali

عليها بالتأكيد الظرف الأبيض. يمسك شريف باشا بالظرف؛ يلقي نظرة علي العنوان ويحمل في الحال التلغراف إلي سيده. بعد أن يطلع الوالي علي محتواه، يشرد بذهنه للحظة، ثم يمد يده ليعيد التلغراف لوزيره. كان الخطاب الوزاري فحواه: من صدر تركيا الأعظم إلي إسماعيل باشا والي مصر السابق

" أن الصعوبات الخارجية وكذلك الداخلية في مصر تتفاقم بشكل متزايد، ويمثل هذا الوضع خطورة كبيرة علي مصر والإمبراطورية العثمانية. وبات من المؤكد أن وجودكم علي عرش مصر لا يمكن أن يكون له نتائج أخري سوي تعزيز وتفاقم الأزمة الراهنة.

و بناءًا عليه قرر عظمة السلطان بعد مشورة مجلس وزراءه، تعيين محمد توفيق باشا لتولي منصب الخديوي وقد تم أرسال فرمان بهذا الشأن. هذا القرار المهم قد تم إبلاغه لسعادته عن طريق برقية أخري، وأطلب منكم الانصياع واعتزال الاعمال وفقاً لإرادة عظمة السلطان.
٦ رجب – ٢٦ يونيو١٨٧٩ " يتمالك إسماعيل باشا مشاعره، بنفس عزة النفس ونفس تلك النبرة المهذبة، التي لم تفارقه أبداً يقول لشريف"أرسلوا في طلب ابني".
لكن الوزير يتوجه بنفسه لتوفيق باشا في مقر إقامته بقصره " الإسماعيلية" المشيد بالقرب من كوبري قصر النيل. كان الأمير قد وصله برقية السلطان بترقيته لخديوي؛ وكان يستعد للتوجه لقصر عابدين. وقد قام بتسليم الرسالة لشريف .
يقول له شريف:" علي فخامتكم أن تصدر الأوامر لاتخاذ كافة الاجراءات من أجل قراءة الفرمان الإمبراطوري بعد ظهر اليوم." يزعن الأمير بإماءة برأسه. ينزل كلاهما لأخذ مكانيهما في الحنطور الذي ينتظرهما أمام الشرفة بعد عدة دقائق، يجتاز الحنطور بوابة قصر عابدين. كان إسماعيل باشا في انتظار نجله علي عتبة صالون الاستقبالات. يأخذ أولا بيد الأمير ليضعها علي شفتيه قائلاً أحييكم علي أنكم أفندينا." ثم يقبل وجنتيه ويضيف قائلاً":" أتعشم ألا تنسوا أبداً أني والدكم"
ينحني، وينسحب سريعاً إلي مقار إقامته. إسماعيل باشا يرحل عن القاهرة يوم ٣٠ يونية وهو يظهر نفس تلك عزة النفس، تلك العظمة رغم المصيبة التي ألمت به، لتفرض علي الجميع احترامه. وكان قد أعرب عن رغبته في ألا تقام أي تظاهرات رسمية بهذه المناسبة.
ومن ثم تعكف الهيئات الدبلوماسية عن الظهور. لكن كان هناك جمع غفير ينتظر خارج المحطة، ونساء الحريم المتشحين بالسواد يولولون من داخل عرباتهم. قبل الصعود إلي العربة الخاصة، يتوجه إسماعيل باشا بالحديث إلي الأشخاص الحاضرين، قائلاً: " أعهد إليكم بابني." يسيطر الأمير بصعوبة علي الآلام التي تعتصر قلبه ويقبل والده العظيم وأشقائه بحنان وهم في طريقهم إلي المنفي.

كان المشهد حزين حزن مفجع؛ كانت الدموع تملئ أعين أعضاء الأسرة الخديوية وكل النبلاء الحضور.. هكذا، وسط خضم أزمة اقتصادية ومالية وسياسية، يعتلي توفيق باشا العرش وهو في سن الــ٢٧عام. أي خلافة ثقيلة بالنسبة لرجل شاب ويفتقد إلي الخبرة، لأنه باستثناء البضعة اسابيع التي تولي فيها الأمير رئاسة مجلس الوزراء، مع بداية نفس العام، كان بعيدا عن الأشغال الحكومية. هكذا، خلال السنوات الأولي من حكمه، انهالت عليه الأحداث وأثناء فترة التأقلم والتطور تلك، اندلع عصيان الجيش الذي أدي إلي التدخل العسكري البريطاني.
وبموجب مرسوم (ديكريتو) خديوي بتاريخ ٤ سبتمبر ١٨٧٩ تم فرض الرقابة علي المالية. بناءًا علي اقتراح من لندن وباريس يتم تعيين السير و. بارينج مراقب عام علي الدخل القومي والسيد و.بلينيير مراقب عام للحسابات والدين العام. يحدد مرسوم خديوي بتاريخ ١٥ سبتمبر مهام وظائفهم، وإعطائهم حق الجلوس بمجلس الوزراء بصفة استشارية. هذه المرة كانت سلطة المراقبين فاعلة وأصبحت البلاد بالفعل تحت الوصاية الفرنسية- البريطانية. كما كان إسماعيل باشا يقول " النقابة التي تدير مصر" يوم ٢١ سبتمبر، يحل رياض باشا وزير الداخلية بوزارة نوبار باشا بدلا من شريف باشا. يسود تعاون تام ومخلص بين الخديوي، ورئيس وزرائه والمراقبين من أجل المصلحة العليا للبلاد. لم تُلقي اللجنة الدولية للتحقيقات الضوء فقط علي طريقة تحصيل الضرائب، والتجاوزات، والخروقات التي ترتكب حساب الممولين والحكومة ، كما أنها كشفت عن الأرقام الحقيقية لدخل البلاد.

بتنا نعرف في الوقت الراهن أن الدخل القومي يتجاوز بالكاد الـ ٨,٥٠٠,٠٠٠جنيه استرليني.

انطلاقا من تلك المعطيات، يتم تشكيل لجنة للتصفية بموجب مرسوم خديوي بتاريخ- ١٧يولية ١٨٨٠- من أجل تصفية الاوضاع المالية. كانت النمسا، ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وإنجلترا ممثلة في تلك اللجنة التي قامت من خلال الخديوي بوضع وإصدار قانون يسمي بقانون التصفية، الذي اصبح الميثاق المالي لمصر. قدر مجموع الديون ب٩٦,٢١٨,٧٧٢جنية استرليني قسمت إلي أربعة فئات.

١ - ديون لها أولوية السداد تقدر بـ ٢٢,٠٦٤,٠٥٥ جنيهاً استرلينياً بفائدة ٥٪ بضمان عائدات السكك الحديدية والتلغراف وميناء الإسكندرية.

٢ -دين مجمع يقدر ب٥٦,٥٩٢,١٥٥ جنيهاً استرلينياً بفائدة ٤٪ بضمان عائدات الجمارك، والضرائب علي واردات التبغ وعوائد محافظات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط .

٣ -ديون الدائرة السنية وقدرت ب ٩,٢٧٥,٠٦٢ جنيهاً استرلينياً .

٤ -دين روتشيلد وقدر ب٨,٢٨٧,٥٠٠جنيهاً استرلينياً بضمان أملاك الخديوي إسماعيل وأسرته.

أما بالنسبة للدين العائم، تمت تصفيتها كالآتي: تم إلغاء السندات القديمة وحصل المستحقين علي ٣٠٪ من قيمتها عيناً و٧٠٪ بسندات من الديون صاحبة الأولوية عند السداد. كما تم النص علي وضع أي مبلغ يتجاوز المبلغ المخصص لنفقات الميزانية بخزانة الدين العام من أجل تقليص الدين.

علي الرغم من التضحيات التي تم تقديمها ، كان لدى الدائنين سبب للاكتفاء بهذه الترتيبات لأننا نجحنا في تجنب الإفلاس؛ لكن الشعب المصري لم يكن لدية نفس الدوافع التي تجعله يشعر بالارتياح: كانت خدمة الدين تمتص أكثر من نصف الايرادات العادية بالإضافة إلي الجزية التي ترسل لتركيا.

ومن أجل تحقيق التوازن في الميزانية كانوا مضطرين إلي التمسك بنظام اقتصادي قاص وفي الوقت نفسه التمسك بكل الضرائب القائمة. ولم يكن كل هذا سوي إجراءات استثنائية مقدر لها أن تتغير علي حسب تحسن الوضع الاقتصادي والمالي للبلاد. لكن فترة البؤس التي طالت كثيراً جعلت القلوب تمتلئ بالمرارة. من ناحية أخري كانت الرقابة الأوروبية تجرح الكرامة الوطنية، لأن المصري كان قد أرتقي منذ ٦٠ سنة. لأن محمد علي وسعيد وإسماعيل لم يرسلوا البعثات الدراسية إلي أوربا عبثاً، ولم يكن تزايد اعداد المدرسين الأوروبيين الذين يقومون بالتدريس بالمدارس المصرية أيضاً عبث. علي أثر ذلك تشكلت طبقة مصرية مثقفة لم تعد راضية أطلاقا عن حالة التابعية المفروضة عليهم. كانت تتطلع إلي التعبير عن نفسها، إلي الارتفاع مثل النبتة التي وصلت جذورها إلي مرحلة تفجير الزهرية التي نمت بداخلها وحان وقت إخراجها منها لغرزها بالأرض الخصبة."كان هذا الشعور بالضيق والاستياء يسود بشكل خاص داخل الجيش وظل يتفاقم حتي وصل إلي حد الشروع في تمرد عسكري سيكون له عواقب وخيمية علي مستقبل البلاد. كان حاملي لواء التمرد هم مجموعة من الضباط ظهر من ضمنهم بوضوح شخص العقيد أحمد عرابي، قائد الفرقة الرابعة.

أحداث الشغب الأولي _ فبراير- سبتمبر_ ١٨٨١، اندلعت لأسباب علي ما يبدو أنها لم تكن لها أهمية كبيرة.

كان عثمان رفقي باشا وزير العدل من أصول شركسية لا يتمتع بشعبية داخل الجيش الذي اتهمه بمحاباة الأتراك_ الشراكسة علي حساب المصريين. في شهر يناير من هذا العام استبعد العقيد علي بك فهمي قائد الفرقة الأولي للحرس الخديوي، ليحل محلة ضابط شركسي، يقدم الضباط المصريين عرضة استعطاف لرياض باشا رئيس مجلس الوزراء يحتجون فيه علي ذلك التصرف المتعسف. "تعامل وزير الحربية اتجاه الضباط المصريين كما لو كانوا يعادونه هو شخصياً... بيد أن الاستعطاف جاء فيه.. يجب أن يكون هناك تحقيق مسبق يبرر الطرد من الجيش. يجب أن تكون الجدارة هي معيار للترقيات.

الكفاءة والعلم هما من يعطون فقط الحق في الحصول علي الترقية وبناء عليه، متأكدون تماماً نحن الضباط المصريين أننا أفضل من هؤلاء الذين حصلوا علي ترقيات خلال الاشهر الأخيرة ..الخ" وقد ذيل الالتماس بطلب لاستبعاد الوزير " الذي لا يليق به شغل منصب رفيع هكذا." قدم الالتماس إلي رئيس مجلس الوزراء بواسطة عرابي وعبد العال وعلي بك فهمي.

كانت حركة عصيان خطيرة. كان لابد من قمع تلك التجاوزات، لكن في الوقت نفسة كان لابد من قتل الفتنة في مهدها من خلال تأييد طلبات الجيش العادلة. بسبب العجز عن اتخاذ الاجراءات الضرورية بشكل سريع تحول العصيان والعصيان تحول إلي تمرد مسلح.

كان علي توفيق باشا فى فبراير من عام ١٨٨٢ أن يزعن لتشكيل وزارة تضم قادة التمرد كلهم : محمود بك الذي شغل الرئاسة ؛ وتولي عرابي منصب وزير الحربية وعلي فهمي الخارجية. وكانت أول تحركات الوزارة الجديدة هي تصحيح ظلم الماضي. ترقيات وزيادات وتعويضات انهالت علي الجيش كما السيل بالربيع. حاول مراقبا المالية السيدان بلينيير وكولفين Blignieres et Colvin جاهدين كبح جماح هذا السخاء المفرط، لكن الحزب العسكري الذي بالسلطة فرض إرادته.

استقال الأثنين. بعد هذا الانتصار الأول، تصدى الوزير لمهمة تطهير الجيش من العناصر التركية-الشركسية؛ وفي يوم ٢٠ أبريل ١٨٨٢- يتم القبض علي ثمانية وأربعون من كبار الضباط من ضمنهم عثمان رفقي باشا ويلقي بهم في السجن ويحكم عليهم بالنفي إلي السودان بحجة محاولة النيل من حياة عرابي. يرفض الوالي التصديق علي تلك الاحكام المستترة بالإعدام ويخفف الحكم إلي مجرد الطرد من الجيش. يلجأ الوزراء بعد نفاذ صبرهم إلي استخدام نفوذهم واستدعاء مجلس النواب ومطالبتهم بإعلان تنحية توفيق باشا عن الولاية.

في الحال تطغي الأزمة السياسية علي الأزمة المالية. امام تلك الحركة الثورية، تضطرب أوروبا خاصة إنجلترا وفرنسا. إي جانب يجب الانحياز إليه ؟ يقترح السيد جامبيتا Gambettaاستعراض للقوة البحرية، وليكن عمل عسكري مشترك مع بريطانيا العظمي.

-يرد عليه اللورد جرانفيل "Granville : أرفض التعليق علي افتراضات". لكن بناء علي اصرار وزير الخارجية الفرنسي : يقول اللورد جرانفيل:" يبدوا لي أن من الخطورة التطرق منذ الآن إلي اجراءات واجب اتخاذها تحسباً لأحداث تخص المستقبل والتسبب في تفاقم الازمة بدلاً من درئها".

هل لم تعد بريطانيا العظمي تأبي بمصير مصر؟ يرد و.ميلنر Milner علي نفس هذا السؤال الذي يطرحه في كتابة" إنجلترا في مصر" حيث يقول:

-" لا لم يكن في مقدورها. أن مصر نظراً لموقعها الجغرافي، تهيمن علي الطريق إلي الهند واستراليا؛ وتعتبر تلك النقطة الاستراتيجية ذات أهمية حيوية بالنسبة لها وتصدت بقوة السلاح إلي احتلال هذا البلد من قبل أي قوة أجنبية. ثم، قامت بضخ رؤوس أموال ضخمة في هذا البلد؛ واصبحت بعد فرنسا الحمال الرئيسي للسندات المصرية. وإذا كانت مترددة في السير علي خطي فرنسا فهذا لأن السياسة البريطانية خاضعة للرأي العام والرأي العام البريطاني بطيء التحرك والحراك؛ أيضاً لأن الحكومة الليبرالية التي علي سدة السلطة، والمسالمة بشكل صريح، كانت عازمة تماماً علي عدم التدخل ألا إذا كان هناك تهديد لسيادتها. لم تترك الأخبار القادمة من القاهرة أي شك بهذا الشأن. أصبح الخديوي سجين جيشه المتمرد والقيود المالية المرفوضة بواسطة لجنة التصفية انقلبت رأس علي عقب تماماً.

كان لابد من القيام بتحرك. لم تعد سياسة الانتظار والترقب أمر مقبولا. نعرف الأحداث المأسوية التي توالت خلال الأشهر القليلة ما بين شهري فبراير حتي سبتمبر ١٨٨٢؛ بداية من وصول التشكيلات البحرية الفرنسية- البريطانية ثم مذبحة الإسكندرية وضرب تلك المدينة بالمدافع؛ رفض فرنسا الاشتراك في عمل عسكري حتي لا تترك حدودها الشرقية معرضة للتهديدات الألمانية ثم أنزال القوات البريطانية بالإسماعيلية؛ هزيمة الجيش المصري بالتل الكبير- ١٣سبتمبر؛ دخول القوات الإنجليزية إلي القاهرة بشكل رسمي يوم ١٤سبتمبر؛ عودة الوالي إلي عاصمته يوم ٢٤سبتمبر توقيع المعاهدة المصرية- الإنجليزية يوم ٢٥سبتمبر.

بموجب تلك المعاهدة التزمت الحكومة البريطانية بسحب قواتها بمجرد استعادة النظام ومن أجل هذا العرض أرسلت للقاهرة سفيرها لدي الباب العالي اللورد دوفرين Lord Dufferin الذى وصل بداية شهر نوفمبر وبدأ بتصفية الثورة واعتقال قادة التمرد العسكري عرابي ومحمود باشا وساني وعلي بك فهمي ورفاقهم. كما تمت محاكمتهم ونفيهم إلي سيلان وغيرهم من السجناء أصحاب الرتب الأقل حكم عليهم بأحكام مختلفة.

تحملت إنجلترا الألم لوحدها وكان اللورد دوفرين علي حق في تقديره بأنها من ثم تستحق وحدها شرف التواجد تحت دائرة الضوء وأوصي بأنهاء السيادة المشتركة. بالتالي أبلغت الحكومة البريطانية فرنسا بقرارها هذا، وتم استدعاء السيد بريديف Bredif المراقب العام علي الحسابات في الوقت الذي استمر فيه زميله السير أوكلاند كولفين Auckland Colvin في منصبة كمستشار مالي.

إجراء كان بمثابة إشارة لبداية عقد جديد من الأعمال العدائية ما بين القوتين العظمتين استمرت حتي اتفاقية عام ١٩٠٤ التي حصلت فرنسا بموجبها علي مبادلة امتيازاتها في مصر بالحصول علي الحماية علي المغرب.

بعد محاكمة عرابي أولي السفير كل اهتمامه للأوضاع الداخلية.

يكتب السفير في تقريره لوزارة الخارجية قائلاً:" أن استعادة النظام والاخلاء السريع فرضيتين لا يتفقان. تعاني البلاد من الآلام التي تسببت لها فيها الحرب الأهلية والحرب الخارجية. الإدارة تعاني من الفوضى التامة، الخزنة خاوية وتقلصت سلطة الخديوي. في ظل هذه الظروف، لن يفيد في شيء الرحيل بعد منح مصر دستور ليبرالي. إن القوانين المكتوبة ليست سوي حبر علي ورق. المطلوب هو رجال جدد يفسرون تلك القوانين بروح العدالة. دعونا نستلهم هنا الطريقة التي أتبعت في الهند بنجاح كبير. فلنعين موظفين بريطانيين بالوظائف الرئيسية ونضع كل سلطاتنا بين الأيدي القوية لأحد المقيمين. سنفكر في الأخلاء عندما تترسخ إصلاحاتنا في البلاد. من البديهي هنا ان الوقت يعد عامل اساسي في هذا البرنامج".

هكذا ستتحول بشكل غير محسوس الحملة التي جاءت إلي مصر علي اعتبار أنها عملية شُرطية لحماية مستترة، لأن الحكومة البريطانية لم تجهر في أي لحظة من اللحظات بصراحة عن سياساتها. علي العكس ذكرت كل المستندات المتبادلة فيما بعد بين لندن والقاهرة والحكومات الأجنبية إلي تلك الجملة الواردة في معاهدة سبتمبر١٨٨٢:"...طالما استمر الاحتلال المؤقت لمصر من قبل القوات البريطانية".



ڤاهان تيكيان أمير الشعر الأرمني الحديث

بقلم: عطا درغام

النشأة والبداية

يُعد ڤاهان تيكيان من أشهر شعراء الشتات الأرمني، ورمزًا مهمًا للهوية الأرمنية والتراث،وينتمي إلى الجيل الباقي من الإبادة الجماعية للأرمن وخلال العقود الثلاثة الأخيرة من حياته أثَّر على جيل بأكمله.

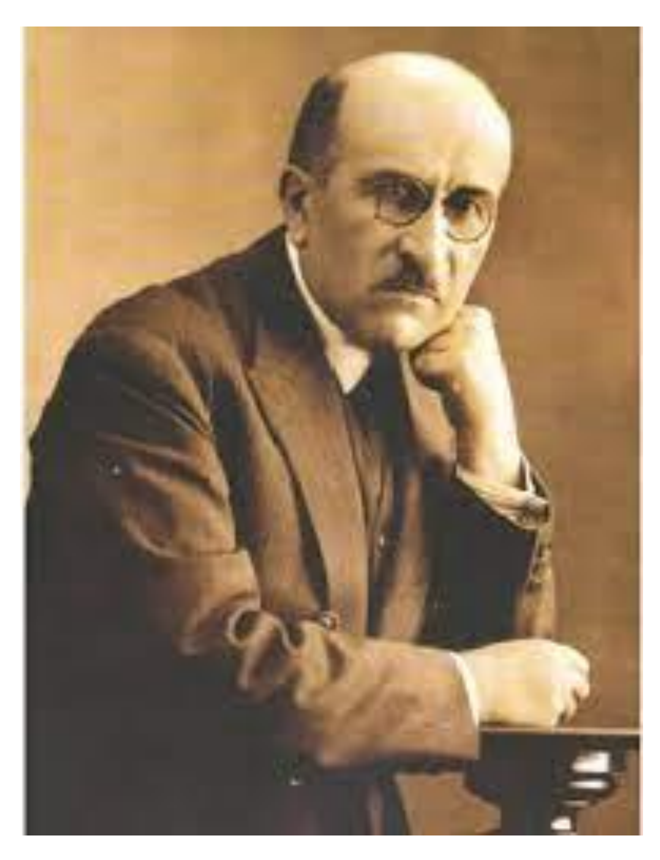
لم يكن شاعرًا ذا مكانة عالمية فحسب، بل جسَّدت شخصيته أيضًا معاناة شعبه ورؤيته وجوهره؛ كان يرمز إلى الماضي والحاضر والمستقبل لأرمينيا والشعب الأرمني.

نجا بأعجوبة من مجازر عام ١٩١٥، وشارك في أعمال جمع الأيتام خلال الحرب العالمية الأولى ، وعمل أستاذاً في مدارس أرمنية.

ولد في منطقة "أورتاچيو" في إسطنبول في الحادي والعشرين من يناير ١٨٧٨، وكان الأصغر بين خمسة أطفال، أصغر من أخيه المقرب بأربعة عشر عامًا. توفي والده وهو في الحادية عشرة من عمره، والتحق بمدارس نرسيسيان وبربريان وچتروناچان، لكنه لم يكمل تعليمه الثانوي واعتمد في التدريس لنفسه في أغلب الأحيان.

العمل العام

في عام ١٨٩٤ وفي السادسة عشرة ذهب للعمل مع شركة تأمين كسكرتير، وفي عام ١٨٩٦، نُقل إلى ليڤربول بإنجلترا قبل مذابح الأرمن في إسطنبول وفي عام ١٨٩٧ إلى مرسيليا ، حيث مكث لمدة أربع سنوات ، ثم إلى هامبورج (ألمانيا)، وعمل لبعض الوقت في الصحافة في بيروت وفي عام ١٩٠٤ رحل إلي مصر،



وفي العام التالي (١٩٠٥) بدأ في نشر المجلة الأدبية الشهرية "شيراك " مع ميكائيل چورچيان (١٨٧٨-١٩٦٥) ،ثم نقلها الى إسطنبول وبدأ بنشرها كصحيفة أسبوعية .

وبعد استعادة الدستور العثماني في عام ١٩٠٨، **عاد تيكيان إلى إسطنبول، واستأنف نشر "شيراك" لفترة قصيرة،** وانتُخب عضوًا في المجلس الكنسي الوطني .

وما بين عامي ١٩١٧-١٩١٩ ساهم بفعالية في أعمال الوفد الوطني الأرمني وفي أعمال تطوعية وخدمية.

وفي عام ١٩١٩،عاد إلى يريڤان لقيادة المفاوضـــات نيابة عن الوفد الوطني الأرمني برئاســـة بوغوص نوبار باشـــا مع ممثلي جمهورية أرمينيا، ثم شـــارك في المؤتمر الأرمني الذي عُقد في باريس في نفس العام.

غادر تيكيان إســـطنبول بعد احتلالها من قبل القوات الكمالية ، وتوجه إلى بلغاريا واليونان ومصـــر وســـوريا للإشــــراف على رعاية اللاجئين والأيتام الأرمن، ويُعد الأب الروحي لأحد هؤلاء الأيتام ، الكاتب الأمريكي الأرمني المستقبلي"ليون سـورميلان" (١٩٠٦-١٩٩٨)، حيث قام بتشـجعه وجمع شـعره الأرمني ، الذي نشـره في كتابه في عام ١٩٢٤ (النور المبهج) .

وفي عام ١٩٢١، أســـس حزب الرامچافار الليبرالي، كما ساهم في أعمال إعانة الأيتام الأرمن في الشـرق الأوســـط عـام ١٩٢٣ ، ومـا بين عـامي ١٩٢٥-١٩٣٢ انشغل في تحرير (أريف) بين القاهرة وباريس.

ومن عام ١٩٢٦ إلى عام ١٩٣٢ أصـبح رئيس تحرير صحيفة " آريف " التي ينشرها حزبه في القاهرة، وانتقل إلى باريس بعد فترة قضـاها في المعهد التربوي الملكوني في ١٩٣٥-١٩٣٦، وأصـبح رئيس التحرير المؤسـس لصـــحيفـة (زارتونـك) في بيروت عـام ١٩٣٧، ثم عاد إلى القاهرة لاستئناف تحرير مجلة (أريف).

النشاط الأدبي

دخل المجال الأدبي في التســعينيات من القرن التاســع عشـر، ونُشـرت أول قصيدة له في جريدة "الوطن" في إسـطنبول عام ١٨٩٤، كما أصـدر مجموعته الشـعرية الأولى عـــام ١٩٠١في باريـس بـعـنـوان(هـموم)، وقـد اعتبرهـا النقـاد في تلـك الفترة بـدايـة واعـدة، ثم مجموعته الثانية (صـــعود ســـاحر) عشـــية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، وقد لاقت إشادة الجميع.

وفي عـــام ١٩١٨جـاءت مجـموعتـه الشـــعريـة (من منتصف الليل حتى الشروق) عبَّر فيها عن أهوال المجازر والحالة النفسـية ومعاناة الشـعب الأرمني الذي أُبيد، وتصل مشاعره الفردية إلى الإنسانية في مجموعته (الحب) عام ١٩٣٣.

ومجموعته (أغنية أرمينيا) عام ١٩٤٣، وتحتوي علي قصـــائد وطنية تغني فيها بالأرمن و كذلك مجموعته (أوديس) عام ١٩٤٤وتشـمل قصـائده : " الكنيسـة الأرمنية "، و"صـلاة عشـية الغد"، و"ذاكرتك الليلة"، و"عندما يأتي اليوم أخيرًا " ، و" اسمك" ، و كتاب (الأغاني) في القاهرة عام ١٩٤٤.

كتب تيكيان العديد من القصـص القصـيرة تتحدث تتنـاول حيـاة الأرمن في المهجر وحركـات التحرر، وأغنـت كتـاباتـه الأدب الأرمني ، حيـث ظهر تأثيره الواضـــح على القصــيدة الأرمنية في المهجر عميقًا، كما ترجم أعمال شكسبير وفيكتور هوجو وأوسـكار وايلد إلى الأرمنية.

نُشرت أعماله الكاملة في تسعة مجلدات في القاهرة في ١٩٤٩-١٩٥٠، كما صـــدرت مجلدات من أعمال مختـارة في بيروت عـام ١٩٥٤ويريڤـان عـام ١٩٧٠، ونُشـــرت مجموعـة من رســـائلـه في لوس أنجلوس عام ١٩٨٣.

شعره

جاء شـعر تيكيان من تجاربه ومعاناته الشـخصـية، ونجدها في شعره تارة بطريقة صريحة وتارة بالتستر علي الأسباب، وهو متألم أيضًا بمصير الشعب الأرمني الذي شـتته المذبحة الكبري ١٩١٥، ففي ديوان (منتصـف الليل حتي الشـروق) يصـور أهوال المذابح والنفسـية المعذبة لشعب مهدد بالفناء، وهو مع كل هذا شـاعر الحب، حبه هو النساء، وليس حبهن له.

تميل لغته إلي التخلص من الشـــاعرية؛ ليقنعنا بجدية

التجربة الوجودية التي يقدمها، ومع ذلك فهو شـديد الالتصاق بقوالب نظم الشعر.

واستطاعت قصائده أن تجذب الأنظار في شكلها ورقتها، وأن تعبر عن آلام ومآسي الشعب الأرمني وآلام الإنسانية.

ولا تنتمي القصائد التي يكتبها تيكيان إلى الشعب الأرمني فقط بل الى الأرواح النبيلة في البشرية جمعاء، فكانت روحه ترتعش للشتات الأرمني، وتأتي قصائده لتكون شاهدة على قصة الإبادة.

تغني في قصائده بأرمينيا السوفيتية، حيث عبر بقوة عن الصورة الجميلة التي رأى فيها أرمينيا أفضل مما رآها في الحلم.

عكس شعره ، سواء كان غنائيًا أو وطنيًا أو فلسفيًا دائمًا رزانة مؤلفه ، وبحلول وفاته كانت بعض قصائده قد أصبحت كلاسيكيات ، وحصل على لقب " أمير الشعر الأرمني" ؛ فخلق أسلوبه الأدبي بالفعل العديد من الأتباع، والتي ستظل نشطة لعدة عقود بعده .

درست أشعاره وسوناتاته عواقب الإبادة الجماعية، والشتات والحب ، وكان موضوع آخر ثابت في عمله هو استكشافه للتأثير النفسي والعاطفي للإبادة الجماعية للأرمن. وقد اعتمد أصعب شكل للقصيدة (السوناتا) ذات ١٤ بيتًا ، فقد ألف الكثير من قصائده في قالب السوناتا الذي يتطلب براعة فائقة من قبل الشاعر، حيث كان شكله المفضل هو (السوناتا) ؛ لذا نجد في أشعاره الكثير من التقارب مع شعر شكسبير لدرجة أنه ترجم مجموعة من سوناتات شكسبير، كما تأثر بالرمزية الفرنسية عند رامبو وڤيرلين و وبودلير وآخرين ، لكنه استوعب روح الرمزية لدرجة أنه أنشأ مدرسته الخاصة بالرمزية الأرمنية ، والتي جذبت العديد من الشعراء الشباب الموهوبين.

عبر تيكيان عن أفكاره وخلجاته بعيدًا عن الأبواق عالية الصوت ، فهولا يحب الكلمات الضخمة والمجلجلة ، حتى عندما كتب عن الحرب العالمية الثانية في قصيدته "صلاة أمام عتبة الغد " استخدم أمنيات إنسانية وكلمات رقيقة إنما معبرة ومؤثرة ، وفي قصائد مثل " في سهل أرارات " حيث يناقض الشاعر الماضي البطولي للشعب الأرمني مع الواقع في زمنه.

عينه ضحية السياسة

أغلق عينه الوحيدة على العالم ، وعينه الأخرى وقعت ضحية لخصومه السياسيين. كان ضحية مبكرة لقضية حرية التعبير، حيث ضربه البلطجية حتى الموت في عام ١٩١٦ بسبب افتتاحية كتبها، لكنه نجا بعين واحدة أعمت، جعلته يكتب واحدة من أكثر القصائد المأساوية المقلقة والمؤثرة عن عينه بعنوان (وحيدتي فقط).

ويقول فيها:

آهٍ يا وحيدتي
كم يرتعشُ قلبي
عندما بكِ أراكِ
وبدمعك أتوسلُ إليك الآن
ألَّا تهجريني أنت أيضًا

قصيدة واقعية؛ فالشاعر يريد أن يطمئن علي عينه السليمة ولذلك ينظر في المرآة، وهذه النظرة نظرة العين في العين تخلق القصيدة. المرآة تجعل من العين الواحدة عينين، وكان الشاعر يريد بهذه الحيلة أن يعوض فقدانه للعين الأخري.

النهاية

بعد حياة طويلة في الخدمة، توفي تيكيان في القاهرة في الرابع من أبريل عام ١٩٤٥، وتم إنزال نعشه في قبره ، وسقطت زهرة واحدة على قلبه وحفنة من التراب من أرمينيا ، حيث كان يتوق إلى أن يعيش سنواته الأخيرة ويدفن في أرض أجداده.

لكن التاريخ كان له المجد، فتيكيان معروف ويحظى بالاحترام اليوم أكثر مما كان عليه خلال حياته، فقد كتب في إحدى قصائده "روحي تنمو اليوم وتتضاعف مثل جيش يسير إلى ساحة المعركة"، فبالمثل ذكره وأفكاره " تنمو وتتكاثر" اليوم لجيل الشباب وللأجيال القادمة.
كان تيكيان رجلاً قليل الكلام ، سابقًا لعصره ، ولم يفهمه معاصروه تمامًا، وكان منعزلاً فعليًا بين الحشود. ترك وراءه وصية يطلب دفنه بهدوء ؛ لا تأبين ولا ضجة ولا تكريم خاص. ربما ، في أعماق قلبه ، كان مقتنعًا أنه لا يمكن لأحد أن يدرك روحه ، وكينونته ، ورؤيته لتغليفها في تأبين.

نماذج من أشعاره

الكنيسة الأرمنية

الكنيسةُ الأرمنيةُ هي مهد روحي.
مثل الكهفِ الشَّاسعِ ، إنَّهُ بسيطٌ وعميقٌ ، مظلمٌ وخفيفٌ
مع فناءه المضيافِ ، ومنبرٍ واسعٍ ، ومذبحٍ هادئ
يقفُ على مسافةٍ كما لو كانت سفينةً تطفو على قدميه.

الكنيسةُ الأرمنيةُ التي أراها وأغمضُ عيناي.
أتنفسها وأسمعها من خلال غيوم البخور
التي ترتفع باتجاه قدمي الطفلِ يسوع ،
ومن خلال الصَّلوات الحارةِ التي تهتزُ جدرانُها.
الكنيسةُ الأرمنيةُ هي الحصنُ العظيمُ لإيمان جدي.
رفعوا بهم عن الأرض حجرًا بحجرٍ
ونزلوا من السَّماء قطرةً ندى وسحابٍ في كل مرةٍ.
فيها كشفوا أنفسهم بسلامٍ وتواضعٍ.

الكنيسةُ الأرمنيةُ عبارةٌ عن سجادةٍ مطرزةٍ كبيرةٍ
ينزل من خلفها الرَّبُ إلى الكأس ،
وقبلها يقفُ كل شعبي برؤوس منحنية
للتواصل مع الماضي من خلال الخبزِ والنبيذِ الواهبين للحياة.
الكنيسةُ الأرمنيةُ هي ملاذ سلمي عبر البحار المضطربةِ.
إنها نارٌ ونورٌ في بردِ الليلِ.
إنه غابةٌ مظللةٌ في شمسِ الظَّهيرة الحارقةِ
حيث تتفتح الزنابقُ بجانب نهرِ التَّرانيم.
الكنيسةُ الأرمنيةُ ، تحت كلِّ حجرٍ في أرضيتها.
يحمل ممرًا سريًا يؤدي إلى الجنةِ.

الكنيسةُ الأرمنيةُ هي الدرعُ المشرق لروح وجسد أرمينيا.
ترتفعُ صلبانها لحمايتها ؛
تدق أجراسُها وأغنيتُها هي النصرُ دائماً

الحسناوات

ستظل حسناء إلي الأبد
تلك التي عبرت يومًا إلي جوارك
ومَّست بعطر جمالها عينيك كزائر إلهي
تلك التي لم تَلْتَفِت خلفك لتراها مرة ثانية
ولم ترغب أن تُقابلها ولو مرة أخري
وحسناء أبدية تلك التي كانت تنمو ببطء أخاذ
تحت شمس نظرتك الساحرة
والتي مثل زهرة تتأرجح في نسمات الربيع
ظَلَّت في وجدانك
نضرةً فواحةً منذ أن رحلت
وحسناءُ تعرفُ أنتَ اسمها المباركَ
والتي كانت علي وشك أن تقع في غرامكَ
كانت تُقن انك تعْشَقها وانتظرت مرتبكةً
ولكنك آثرت ألَّا تزعج قَلْبَها وحسنًا فعلت
الحسناواتُ هن من عبرنَ
خلال أشواقكَ
ورحلنَ والآن يُناديك من بعيدٍ



"ثقافة" الزمن الجميل.. البداية من أحمد أمين

بقلم: هدير مسعد

ظهرت في مصـــر في الثلاثينيات والأربعينيات مجلات عظيمة عالمية الفكر والمحتوى بكل المقاييس تدل على نهضة صحفية وثقافية وأدبية عملاقة قلما يجود التاريخ بها في أي مكان وكأنها نفحة منّ الله بها على مصـــر دون الخلق كلهم. ومن هذه المجلات مجلة «الهلال» لمؤسسها جورجي زيدان، التي لا تزال مستمرة في الصدور منذ ما يزيد عن القرن، لكن في شكل مختلف اليوم عن تاريخها القديم. لنتذكر مجلات «المقتطف» لمؤسسها فؤاد صروف، و«المجلة» لمؤسسها سلامة موسى، و«الرسالة» لمؤسسها أحمد حسن الزيات، و«الثقافة» لمؤسسها أحمد أمين، و«الكاتب المصري» لمؤسسها طه حسين، ومجلة "الكتاب" لمؤسسها الشاعر السوري عادل الغضبان. ومن هذه المجلات التي كان لها صدي محلي ودولي وكان القارئ ينتظرها بشـــغف وحماس كانت مجلة "الثقافة" التي كان يرأس تحريرها المفكر أحمد أمين، فقد كانت منارة من منارات العلم والثقافة في مصـــر في ذلك الوقت، وكان أحمد أمين جامعة بمعنى الكلمة، وهو صـــاحب المقولة الخالدة:" أنا أقل من أستاذ وأكبر من عميد" والتي قالها عقب استقالته من منصبه كعميد لكلية الآداب نتيجة اختلافات مع طه حسين الذى عينه عميدًا لها. كان فعلا أكبر من عميد وكان أيضًا أستاذًا عظيمًا تدل عليه آثاره وإنجازاته الخالدة.

ولم يحدث هذا نتيجة ضربة حظ أو جزافًا بل كان نتيجة مجهودات شـــاقة وعبقرية وإخلاص وتفانٍ وربيع نهضـــة



المفكر المصرى الأستاذ الراحل أحمد أمين ١٨٨٦ - ١٩٥٤

فريدة لم تشهدها بلد مثلما شهدتها مصر، الكثير من هذه المجلات سيبقي شـاهدًا على قدرة مصـــر على الإبداع والتفرد والتميز والعظمة. فقد كان المناخ الثقافي السائد في مصـــر في ذلك الوقت، يجمع على نحو باهر بين احترام مظاهر الحضـــارة الغربية وبين احترام النماذج الرفيعة من التراث الثقافي العربي.

كان هذا هو على الاقل موقف الطبقة الوسطي في مصر، ويقول الكـاتـب جلال أمين في مذكراته رحيق العمر، "عندما اتذكر المقررات التي كنا ندرســـها في ذلك الوقت والنشاط الثقافي الذي كنا نقوم به في المدرسة النموذجية،

ادرك الان كم كان هذا نتيجة لذلك المناخ الثقافي الرائع الذي ساد مصر في ذلك الوقت، وكانت هناك هالة من الاحترام تحيط بأسماء مثل امرئ القيس والنابغة الذبياني والمتنبي وفولتير و روسو وديكارت وهو أبو الفلسفة الحديثة، ويدرك فضل فرانسيس بيكون على العلم، ودور جاليليو في الحضارة الحديثة."

ويمكن القول بأن سر الانسجام الرائع بين الثقافتين العربية والغربية الذي ساد في مصر في الأربعينات، وإمكان تعايشهما جنبا الي جنب؟ لابد أن السر يكمن في الدرجة العالية من الثقة بالنفس التي كانت الطبقة الوسطي المصرية تتمتع بها في ذلك الوقت واطمئنانها الي المستقبل والي ثبات مركزها بالنسبة الي الطبقتين الأعلى والأدنى منها. لم يكن لدي المصريين في ذلك الوقت حالة التوجس الذي نلاحظه الان إزاء الحضارة الغربية.

-مجلة "الثقافة" منبر للآداب والعلوم والفنون:

رغم صدور كثير من المجلات التي تحمل اسم الثقافة، إلا أننا بصدد مجلة الثقافة التي أصدرها أحمد أمين منذ حوالي ما يقرب من ٨٣ عاما، اي في يناير ١٩٣٩ وتوقفت بشكل نهائي بلا رجعة في يناير ١٩٥٣ وليس لها علاقة بأي مجلة ظهرت بعد ذلك بنفس الاسم. وكان سعر الاشتراك السنوي بالمجلة آنذاك ٥٠٠ مليم، و٤٠٠ مليم للطلبة، وللأقطار العربية الداخلة ضمن اتحاد البريد ٧٠٠ مليم، وللبلدان خارج اتحاد البريد ١ جنية مصري.

ويمكن القول أن مجلة "الثقافة" كانت ثقافة رفيعة بحق بكل المقاييس، كانت جماهير الأمة العربية تنتظرها كل أسبوع انتظار العاشقين، وكانت لهم وجبة متكاملة وثرية، حاوية بين طياتها فكرًا متقدمًا وعلمًا حديثًا وإبداعًا فريدًا وفلسفة وعلم نفس ومعرفة عن بقية البشر لا غنى عنه. ربما يُمكننا القول إنها بدأت العولمة في أيامها لما كانت تقدمه من مقالات عن كل ما أنتجه القلب والروح الغربية والشرقية من آداب وفنون وعلوم.

ويمكن القول أن الفترة التي ظهرت فيها مجلة الثقافة كانت فترة مهمة وفاصلة في تاريخ العالم اجمع فهي فترة قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩، وفي هذه الفترة كانت موجة العصر قد بدأت في الحديث عن الثقافة والرجل المثقف في أثناء وأعقاب الحرب العالمية الثانية في اوروبا والعالم العربي، كذلك في هذه الفترة من تاريخ مصر قد شهدت تغيرات جذرية على كافة المستويات مع بداية ثورة يوليو ١٩٥٢ وما اعقبها من زيادة وعي الشعب بحقوقه وواجباته ورفضه للاستعمار وثورته على الظلم والاستبداد والفساد .

وفي يناير عام ١٩٣٩ صدر العدد الأول من مجلة "الثقافة" التي صدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر تلك اللجنة التي أسسها احمد أمين، وكانت مجلة أسبوعية ظلّتْ تصْدر بانتظام، في صدارة المجلات، رافعة شعار « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون، وكان احمد امين صاحبا للامتياز بالمجلة، مسْندا رئاسة التحرير الفعلي إلى محمد عبد الواحد خلاف، وحرص في افتتاحية العدد الأول على احترام المجلات الأخرى، وأعلن أن هدف المجلة ليس الربح، وأنها تضم تخصصات مختلفة، وجنسيات متعددة.

وكان العدد الأخير يحمل رقم ٧٣٢ وصدر يوم الاثنين الموافق ٥ يناير ١٩٥٣.

وكان يكتب في تلك المجلة علماء وادباء العصر ومنهم: طه حسين، والمازني، وتوفيق الحكيم، ومحمد عوض محمد، وعبد الوهاب عزام، وعلي أدهم، وزكي نجيب محمود، وعلي أحمد باكثير، عبد العزيز البشري، محمد عبد الله عنان، عبد المنعم ابو بكر، محمد فريد أبو حديد وغيرهم من الأدباء والمفكرين المصريين والعرب.

مجلة الثقافة.. لماذا الآن؟

كتب أحمد أمين في تقديمه للمجلة (الافتتاحية) في عددها الأول، محددًا أهداف صدور المجلة قائلا: "أحسسنا المقدرة على أن نشارك في هذا العمل الجليل، وننزل في هذا الميدان الخطير، فتقدمنا نعمل مع العاملين ونحمل عبئنا مع الحاملين، ونجاهد مع المجاهدين، لا نشعر نحو إخواننا أصحاب المجلات إلا شعور الفرق المختلفة في الجيش الواحد، هزيمة الفرقة هزيمة للجيش، ونصرة الفرقة نصرة الجيش، والكل يتعاون.

لا نريد حربًا إلا حرب الآراء، وقد علمتنا الأيام أن الرأي لا تتجلى صحته إلا بعد أن يصهر في البوتقة، أما حرب شخص لشخص فهي سخافة نربأ بأنفسنا عنها.

ولا نريد مالًا فالمجلة العربية- مهما راجت- لا تنل ثروة ولا تكسب غنى، فكيف إذا كانت لجماعة كبيرة تنفق عليها بسخاء وتسمو إلى الجد ولا تنزل إلى التجارة؟. ولجنة التأليف بحمد الله غنية بأعضائها، غنية بتخصصها، ففيها العالم من كل صنف، وفيها الأديب من كل نوع، وفيها الفنان من كل فن، حصلوا كثيرًا من العلم والأدب، فرأوا من واجبهم أن يشاركوا في علمهم وأدبهم أكبر عدد ممكن من مختلف الأقطار، فكانت مجلة الثقافة".

مقتطفات من اعداد "الثقافة:"

احتوت المجلة على مجموعة متنوعة من الكُتاب والادباء فكانت افتتاحية العدد دائما بقلم أحمد أمين، ثم "مع أدباءنا المعاصرين" بقلم الدكتور طه حسين، الصراع بين الدكتاتورية والديموقراطية، "تحت مصباحي الأخضر" بقلم توفيق الحكيم، "العبرة بالخواتيم" بقلم إبراهيم المازني، "بخلاء الجاحظ وبخلاء موليير" بقلم شفيق جبري، "في التربية وعلم النفس" بقلم الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني بك، "تين وفلسفة الفن" بقلم زكى محمد حسن، "على هامش العلوم" بقلم أحمد زكى بك، "من الأدب الهندي الإسلامي" بقلم عبد الوهاب عزام، "عشرة أيام في العراق" بقلم الدمرداش محمد، "كتاب الحسبة" بقلم محمد كرد على. شمل العدد أيضًا صفحات تحت عنوان "بين المجلة والقراء" عبارة عن صفحتين بعنوان مقتطفات، والجدير بالذكر ان هذه الفقرة كانت من امتع ما تناولت المجلة حيث تبدأ هذه الفقرة بعرض مصطلح ثم القيام بشرحة وتفسيره من المعجم، ثم يليها نشر بعض من المعلومات العامة في كافة المجالات الطبية والادبية والعلمية والفلسفية التي تهم القارئ تحت عنوان "لماذا وكيف"، كما لم تنسي المجلة الاطفال فقد كان يوجد صفحة مخصصه للأطفال يتم فيها ترجمة قصة من الادب العالمي مع ابراز الدروس المستفادة منها .

كانت خلاصة مقالة الدكتور طه حسين وكأنه يقدم للأدباء المعاصرين تشريحًا لما تحويه عقولهم وتفنيدًا لتركيبتهم الإنسانية ونصحًا غاليًا لهم وتحديد لما يجب أن يكون عليه دور الأديب من أن تكون آراؤه مستقلة وحرة. كان وكأنه يقدم خلاصة تجاربه ناصحا ومفندا لطريق النجاح للأدباء المعاصرين قائلا: "لست أدرى وما يعنيني أن أدرى أحق هذا أم باطل، وخطأ هذا أم صواب، وإنما الشيء الذى يظهر أنه لا يقبل الشك ولا يحتمل الجدال، هو أن الإنتاج الأدبي ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن يكون إلا في الجماعة التي تسمع الأثر الأدبي أو تقرؤه فتتأثر به، راضية عنه أو ساخطة عليه، معجبة به أو زاهدة فيه".

وكانت مقالة شفيق جبري "بخلاء الجاحظ وبخلاء موليير" تعكس اهتمام المجلة بالآداب العالمية للاستفادة منها والمقارنة بها، وأنها ستهتم بالروابط بين الآداب وبحث المشترك في جوانبها. خلاصتها أننا نهتم في معظم أدبنا بالظواهر ويهتم الأجانب بالبواطن، وقد نبرع في الاهتمام بهذه الظواهر براعة خاصة، فإن كل حكاية من حكايات بخلاء الجاحظ قد تكون موضوع رواية في ذهن كاتب من كتاب الإفرنجة، فقد أتقن التدقيق في ظواهر البخيل، سواء أكان هذا البخيل يطبخ شيئا،

أو يؤجر دارًا أم يوصي ولدًا، أم يطعم ضيفًا أم يسرج مصباحًا، ولكنه هل أتقن في بواطن البخيل؟. لا شك في أنه عرف أسرار البخلاء وعرف دخائلهم، ولكنه هل صور حركات هذه الدخائل؟. إننا لا نعرف هذا كله إلا إذا قابلنا بين بخيل الجاحظ وبخيل كاتب من كتاب الإفرنجة، كبخيل موليير.

الثقافة
مجلة أسبوعية للاجتماع والآداب والعلوم والفنون
AL-THAQAFA
الفهرس

إلى جانب المقالات الأدبية نجد أن العدد الأول شمل مقالًا عن الفلسفة وعلم النفس والطب وقصصًا إبداعية لثلاثة من كبراء الأدب العربي ومبدعيه هم توفيق الحكيم وإبراهيم عبد القادر المازني ومحمد فريد أبو حديد. وقد نجحت المجلة في كل أعدادها في عرض أهم المقالات عن الفلسفة وعلم النفس والطب والفنون وترجمات لأهم الأدباء والروائيين والعلماء الغربيين والعرب .

أما عن قصة توفيق الحكيم بعنوان "تحت مصباحي الأخضر"، يصفها الحكيم ويشخصها بنفسه:" هنا في كل أسبوع، تحت مصباحي الأخضر، أعرض كل حياتي الليلية. حياة رحبة مضيئة زاخرة بشتى الألوان. ميدانها لا في المراقص وحانات الليل، بل في حجرتي المنزوية ومقعدي الواسع قرب خزانة كتبي. حياة الليل عندي هي حياة النفس في اتصالها النبيل بما أقرأ في ساعات السكون، وفي إصغائها الطويل الى الخواطر والأفكار التي تعمر عالمي الصامت". وصار هذا الركن مكانًا دائمًا في أعداد المجلة التالية ولإبداعاته التي أثرت بها قراء الثقافة.

كما شمل العدد أيضًا اهتمامًا بالفن قدمه الفنان زكى محمود، فقد احتوى على شرح مخطوطة إيرانية من كتاب "هفت بيكر" للشاعر نظامي، محفوظة في متحف نيويورك، ويرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر الميلادي، وتمثل بهرام جور ملك إيران يثبت لحبيبته فروسيته ومهارته في الرماية بإجابته الى ما طلبته منه: وهو أن يلصق بسهم واحد حافر حمار الوحش بإذنه. وقد توصل الى ذلك بأن ضرب حمار الوحش في أذنه بقطعة من الطين الجاف، فلما رفع الحمار حافره ليحك أذنه من أثر الضربة رماه بهرام جور بسهم ثبت به حافره بأذنه.

وجدير بالذكر أن المجلة نجحت في أعدادها المتتالية في تقديم العديد من كتب التراث والمخطوطات العريقة وحللتها وشرحتها للقارئ شرح تفصيلياً من قبل مجموعة من الأدباء من مختلف الجنسيات كذلك عرض لأهم المؤلفات التي صدرت حديثاً ونبذة عن المؤلف ووضعت لهذا الركن عنوان "أبناء وآراء"، ولم تنسي المجلة من عمل عرض لأهم الندوات والمؤتمرات الدولية والمحلية المتاحة على الساحة آنذاك.

ومن اللافت للنظر أن المجلة اهتمت أيضًا بالسينما وما يعرض بدور العرض، وتحت عنوان "عالم السينما" استطاعت المجلة تقديم عرض لأهم وافضل الأفلام المعروضة بالسينمات مع نبذه عن الفيلم وابطاله ومؤلفه ومخرجة، والطريف أن المجلة كانت ترشح للقارئ أفضل السينمات وأسعارها وأوقات عرض الافلام للتسهيل على القراء، فنجد على سبيل المثال في العدد ٥٦ بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٤٠ ترشيح المجلة لفيلم "يوم سعيد" بطولة محمد عبد الوهاب وعلوية جميل، وفردوس محمد، وعبد الوارث عسر، وإخراج محمد كريم،

مع عرض للسينمات التي متوافر بها الفيلم.
وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية تحولت افتتاحية المجلة التي تناوب على كتابتها كلا من أحمد أمين وطه حسين بعنوان (افتتاحية العدد لمحرري الثقافة السياسي – بين الأدب والسياسة)، وكانت تتناول أهم المواضيع التي تدور على الساحة الدولية وتقدم تشريح لما يحدث من أسباب قيام الحرب وسياسة كل دولة من المشاركين، فعلي سبيل المثال نجد في العدد رقم ٦١ للسنة الثانية بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٤٠ يناقش طه حسين توسعات المانيا الاستعمارية على الدول الأوروبية الصغيرة والمستضعفة محاولة تكوين امبراطورية المانية كبيرة تضم كل الدول الأوروبية التي بها رعايا ألمان وموقف الدول الاوروبية الكبرى من هذه السياسة. وعلي مدار سنوات الحرب العالمية الثانية استطاعت مجلة الثقافة تقديم وتحليل كل ما يخص الحرب والمعارك والسياسات المتبعة وعلاقة مصر بها وموقفها من الحرب، وكأنها تقدم عرض متكامل لكل ما يحدث على الساحة الدولية واهم المواضيع التي تخص القارئ.
ويمكن القول أن مجلة الثقافة قدمت للقارئ العربي وجبة ثقافية صحية متكاملة لم تسبقها بها صحيفة أو مجلة عربية. وكانت وجبة متوازنة من الآداب والعلوم والفنون، واستطاعت وبلا انحياز ولا تعصب منبرًا للجميع، فقد استطاعت مجلة "الثقافة" أن تكون على اتصال وثيق بقرائها، تشعر أنها لهم ويشعرون أنها مجلتهم، ليست بينها وبينهم كالصلة بينهم وبين كتاب يقرأ أو منظر يشاهد، فيمدح أو ينقد في نفس القارئ، بل استطاعت "الثقافة" أن تكون صلتها بقرائها أشد وأقوى وأقرب الى تحقيق غايتها. فهي من أجل ذلك فتحت صدرها لكل ناقد ينبه المجلة إلى ما قد تكون غفلت عنه، أو يعارض رأيا ارتأته، وهي إزاء كله كانت تزن الآراء المعروضة عليها بدقة وسعة صدر، ونشرت منها ما ترى من الخير نشره. وقد نجحت مجلة الثقافة في أن تكون المجلة وكتابها وقراؤها —على تباعد ما بينهم واختلاف أقطارهم – أسرة واحدة – تعاونوا في محاربة الجهل ونشر العلم، وتصحيح ما فسد من آراء، واستصفاء ما صح من أفكار، وتنبيه العقل وتحرير الفكر، وإحياء العاطفة وتذوق الفن.

الجامعة الشعبية.. وهيئة قصور الثقافة:

وكان أحمد أمين صاحب رؤية ومشروع عاش طيلة حياته على تحقيقه وهو مشروع (الجامعة الشعبية)، حيث رأى أن الارتقاء بجماهير الأمة لا نستطيع الوصول إليه عبر باب الجامعة، وعليه يحتاج الناس إلى إنشاء جامعة شعبية تعلمهم وتثقفهم وتوعيهم، وكان أول مدير لهذه الجامعة، في الوقت الذي كان فيه صاحب مفهوم حضاري عصري لمعنى الثقافة، طالب أحمد أمين بأن يتعلم الناس العلوم الميسرة، والفنون البسيطة، والصناعات الفنية.. وبذلك يستطيع رجل الشارع الذي يقرأ ويكتب أن يصبح رجلاً مثقفًا.أحمد أمين فهم الثقافة فهمًا عربيًا، وأدرك احتياجات بلادنا العربية في عصره إدراكًا واعيًا، فأقام الجامعة الشعبية التي تعتبر أساسًا لهيئة قصور الثقافة، وكان الرجل بحق صاحب تفكير عملي واقعي، حتى أنه جعل صناعة حياكة الثياب وفنون التطريز وأشغال الإبرة للفتيات من مواد الدراسة في جامعته الشعبية، وكانوا يعلمون في هذه الجامعة فنون الرسم والموسيقى والمسرح وغيرها من الفنون الجميلة، إلى جانب بعض المهن البسيطة مثل النجارة والسباكة والكهرباء.
أحمد أمين هو الموسوعي، العالم، المفكر، المؤرخ، الناقد الأدبي، والأستاذ الجامعي، الذي اتخذ من (الثقافة) منهجًا، وطريقًا، واستراتيجية، فتحقّقتْ له الريادة عن جدارة، في دراساته الإسلامية، والتاريخية، والأدبية، وتحقيق المخطوطات، وإنشاء المؤسسات والمنابر الثقافية، وريادة العمل فيها. ولد عام ١٨٨٦، وتوفي عام ١٩٥٤، تقلد العديد من الوظائف منها التدريس ثم القضاء، وفي عام ١٩٢٦م عين مدرسا بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن)، وفي عام ١٩٤٠م انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية. ثم انتدب وهو استاذ بكلية الآداب مديرا للإدارة الثقافية بوزارة المعارف ١٩٤٥، ثم عين مديرًا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ومن خلال هذا المنصب أنشأ معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية وفي عام ١٩٤٨. تم منحه الدكتوراه الفخرية، وبعدها عين أستاذًا غير متفرغ بالكلية وظل يمارس نشاطه العلمي والعملي في ميدان الثقافة حتى وفاته .

الصناعات الخشبية من شجرة السنط في مصر الفرعونية

بقلم أ.د. فايز أنور
أستاذ التاريخ والحضارة المصرية

تعددت استخدامات شجرة السنط في الحضارة المصرية القديمة، ولقد دخلت شجرة السنط في العديد من الصناعات مثل صناعة التماثيل واللوحات والكراسي والتوابيت وغيرها من الصناعات. ولقد قامت الدكتورة سهام عيسى بعمل حصر لتلك الصناعات في بحثها عن شجرة السنط. وسيتم التناول كالآتي:

أولاً: تمثال من خشب السنط بمتحف اللوفر:
وهو تمثال من خشب السنط وملون ويعود للأسرة الرابعة يصور رجل وزوجته.



من متحف اللوفر تمثال خشبي ملون

ثانيًا: تمثالان لـ(مريت) من مقبرته بسقارة (متحف المتروبوليتان):

عُثر على تمثال لـ"مريت" بمقبرته بسقارة والذي ترجع للأسرة الخامسة والتمثال من متحف المتروبوليتان، وهو من خشب السنط يصل ارتفاعه إلى ٧٧سم. وعُثر أيضًا في ذات المقبرة على تمثال آخر لمريت وزوجته من خشب السنط وهو موجود بمتحف المتروبوليتان.



تمثالان لمريت بمتحف المتروبوليتان

ثالثًا: تمثال تي – جت – تيتي:

عُثر على التمثال في مقبرته بسقارة، من خشب السنط ويرجع لنهاية الأسرة السادسة من عهد الملك "بيبي الثاني" يبلغ ارتفاعه ٤,١ × ٩,٣ سم.



تمثال تي – جت – تيتي

رابعًا: باب وهمي بالمتحف المصري عُثر على باب وهمي من خشب السنط بالمتحف المصري يعود للدولة القديمة، وهو من مقتنيات المتحف المصري.



باب وهمي بالمتحف المصري

خامسًا: بقايا نقش لشجرة سنط تظلل إناء مياه:

يعود النقش للأسرة الحادية عشر من الدولة الوسطى من عهد الملك منتوحتب الثاني عُثر عليه عام ١٩٢٣م في مقبرة "نفرو" بطيبة، يصل ارتفاع ٨٣ × ٨٨,٥سم ،والنقش بمتحف المتروبوليتان.



بقايا نقش لشجرة سنط تظلل إناء مياه

سادسًا: مساند للرأس بمتحف المتروبوليتان

وجد بمتحف المتروبوليتان على مسندين للرأس من خشب السنط، يرجع المسند الأول لنهاية الأسرة الحادية عشرة وبداية الأسرة الثانية عُثر عليه بإحدى مقابر طيبة، ويبلغ ارتفاعه ٢٢,٢ × ٢٢,٩ سم. والمسند الثاني عثر عليه بطيبة يرجع لنفس الفترة ويبلغ ارتفاعه ٢٠ × ٢٢ سم.



مساند للرأس من خشب السنط

سابعًا: تمثال "نختي" من خشب السنط بمتحف اللوفر:

يعود للدولة الحديثة ويبلغ ارتفاعه ١٧٨سم. مصنوع من خشب السنط الملون يرتدي نقبه طويلة ويقدم القدم اليسرى للأمام مع فرد الزراعين بجانب الجسم التمثال، عُثر عليه بمقبرته في أسيوط.

تمثال "نختي" من خشب السنط بمتحف اللوفر

ثامنًا: كرسي من خشب السنط بالمتحف البريطاني:

الكرسي مصنوع من خشب السنط المطعم بالعاج وخشب الأبنوس عُثر عليه بطيبة، ويعود للدولة الحديثة وهو من مقتنيات المتحف البريطاني. ومقاساته ٣٠,٤ × ٢٧,٦سم.



كرسي من خشب السنط

تاسعًا: علبة زينة بالمتحف البريطاني:

علبة خشبية مصنوعة من خشب السنط والأبنوس، عُثر عليها بطيبة وتعود للدولة الحديثة ومقاساتها ٤ × ٥,٥ سم وهو من مقتنيات المتحف البريطاني.



علبة زينة بالمتحف البريطاني

عاشرًا: منضدة من خشب السنط بمتحف المتروبوليتان

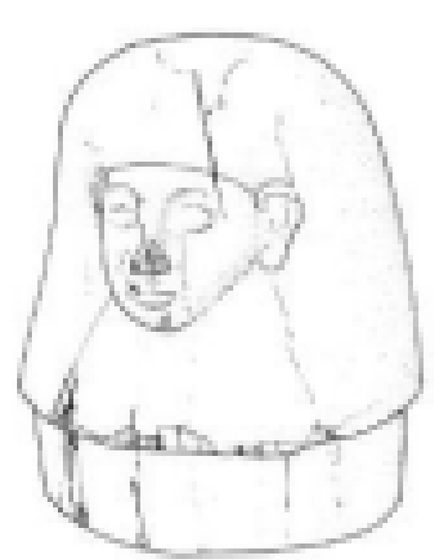
منضدة مصنوعة من خشب السنط، وتعود للأسرة الثامنة عشر، عُثر عليها بطيبة وهي من مقتنيات متحف المتروبوليتان.



منضدة من خشب السنط بمتحف المتروبوليتان

الحادي عشر: إناء برأس أدمي من خشب السنط

يحتوي المتحف البريطاني على إناء برأس آدمي من خشب السنط ويمثل أحد الأواني الكانوبية، ويرجع للأسرة التاسعة عشرة، ويصل ارتفاعه إلى ١٢,٥ × ١٠,٧سم.



إناء برأس أدمي من خشب السنط

الثاني عشر: بقايا تابوت من السنط:

استُخدم خشب السنط في صناعة التوابيت نظرًا لما يتميز به من صلابة ومقاومة للفطريات، ولقد استُخدم طوال الفترات المصرية القديمة، وشاع استخدامه في الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة، وُجد تابوت لسيدة تدعى "رعي" يرجع لبداية الأسرة الثامنة عشرة، صُنع هذا التابوت من خشب الجميز وخشب السنط ٢,٣٩ × ٧٣سم يأخذ الشكال الآدمي، وهو عبارة عن مجموعة من القطع الصغيرة للألواح الخشبية، جُمعت معًا بواسطة الأوتاد الخشبية.



بقايا تابوت من السنط

وهذا يؤكد على أن أخشاب شجرة السنط كان لها دورٌ كبيرٌ في منتجات الحضارة المصرية القديمة، فلقد استخدم الإنسان المصري القديم أخشابها في صناعة كثير من الأدوات التي كانت يستخدمها في حياته اليومية، وكذلك في أساسه الجنائزي.

عام سعيد ٢٠٢٣

ՀԲԸՄ 2023



لوحة بعنوان (رقصة التحطيب) للفنان المصرى الأرمنى ألكسندر صاروخان (١٨٩٨ - ١٩٧٧)

THE EGYPTIAN FOLK DANCE «TAHTIB»

LA DANSE POPULAIRE ÉGYPTIENNE " TAHTIB"

«ԹԱՀԹԻՊ» (Եգիպտական ժողովրդական պար)